

كتاب

إتحاف القرّاء المتحزّبين المعانقين تلاوة كتاب الله المجدّدين

للعلامة المحقق أوحد الزمان
وفريد العصر والأوان
سيدي الحاج الأحسن بن محمد
بن أبي جماعة البعقيلي
السوسي أصلا البيضاوي وقتا

كتاب

إتحاف القرّاء المتحزّبين المعانقين تلاوة كتاب الله المجدّدين

للعلاّمة المحقّق أوحد الزمان وفريد العصر والأوان
سيدي الحاج الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي
السوسيّ أصلاً البيضاويّ وقتًا

إهـداء

إلى روح سندنا وقدوتنا أعجوبة دهره حبر الأمة مجدّد الدين ماحي الظلمات من الجهل إلى حق اليقين ومحيي القلوب الموتى والغافلين هو من كتبه تغني عن كل تراجم المؤلفين سيدنا الحاج الأحسن بن أبي جماعة البعقيلي السوسي رضي الله عنه وأرضاه.

ثمّ إلى روح خليفته الأول الذي انكب قرابة نصف قرن وسخّر حياته لخدمة المسلمين عامة والمنتسبين التجانيين خاصة بإفشاء العلم النافع وبالإرشاد وبالتربية الرشيقة والذي اعتمد كتب والده ومورّثه تمام الاعتماد قطب أكبر من أولياء الدنيا عارف مربي لا يدل إلا على الله تعالى سيدنا محمّد الحبيب البعقيلي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين.

ثم إلى روح تلميذه الأبرّ الناصح القدوة الهمام المعمّر الظاهر في الظواهر والمنام من كان سببا في نشر علوم وأسرار شيخه البعقيلي في ربوع تونس الخضراء أعني شيخنا ومربينا وسندنا القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي الحاج محمّد بن إبراهيم القماري البعقيلي.

ثم إلى روح شيخنا بعد شيخنا قرّة أعيننا المجاهد في سبيل الله تعالى بالحال الصادق والمقال الواضح من اكتملت فيه صفات العالِم الذي أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن نتبعه بقوله " **لا تَجْلِسُوا مَعَ كُلِّ عَالِمٍ إِلاّ مَعَ عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ : مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الرَّهْبَةِ**" أعني به سيدنا الحاج محمّد الكبير البعقيلي فالله

هو الذي يجازيه بما هو أهله رضي الله عنه وأرضاه نزّلنا بين أهله وعشيرته منزلة الأولاد ولاحظتنا عيون محبته بالتبجيل والإكرام فضلا منه وتكرما .

اللهم بارك لنا في علومهم وأسرارهم حتى نلقاك لا مبدّلين ولا مغيّرين بل مقبلين ثابتين مقتدين بأحسن وأصدق الاقتداء والحمد لله رب العالمين.

الحاج الحبيب بن حامد

مقدّم الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

لطف الله به في الدارين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله الذي خلق العوالم كلها لحكمتين ليعرف ويتنعم بآلائه ونعمه في النشئتين من غير داعية ولا ضرورة ولا فائدة عائدة عليه إذ هو الغني بذاته عن افراد ما سواه بقدرته عليه ونشهد أن لا إله إلا الله لأنه لا يستحق أن يعبد بالحق وعلى الحق وللحق إلا المسمى **اللهُ** وأن سيد الكائنات محمّدا عبد الله ورسوله ومصطفاه من خلقه وحبيبه وخليله أتانا من ربنا بالمعجزات القرآنية التي لا تنفد خزائنه ولا قعر ليمّه ولا إدراك لكل حقائقه عمر أنفاس الآباد والخلود الأبدي لعلوّ قعر خزائنه والصلاة والسلام الأتمان عليه وعلى أهل حزبه وأصوله وفروعه وحواشيه المؤمنين أهل ملته.

وبعد فقال ويقول عبد الله وخديم كتابه وأهل خاصته القرّاء البررة المفضّلين على من عداهم بنصوص مقررة وهو الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي الولثيثي البيضاوي قرارا وقته: سألني كثير من أهل الخير الراغبين فيه الوامقين العاشقين في تلاوة كلام رب العالمين ممّن حاز قصب السباق في ميادين مراتب الإسلام والإيمان والإحسان المنفقين أعمارهم في طاعة ربّ العالمين فيما شوّش ويشوّش عليهم بعض المرتسمين لبعض المسائل العلميّة النقليّة المتحيّرين في مقاصد الرب الخائضين بغير ذوق ولا صحة مسلك المهتدين في مسألة التالين للقرآن متحزبين جماعات بلسان واحد وهم طائفة يقرأون القرآن جماعة على سنّة متعارفة بين طلبة المغرب بحيث يرفعون أصواتهم ويظهرون قوة عند التلاوة وعند النطق بالموقوف عليه على حسب عشقهم وإتقان

حفظهم وإظهار أبّهة الإسلام وقوة متانة الدين القويم وأهله حيث أفنوا أعمارهم في ضبطه حتى ضبطوا عدد حروفه وآياته وثابته ومحذوفه حتى لا يجد إبليس وأهله السبيل إلى زيادة ضبط أو نقطة أو حرف أو صلة فضلا عن الكلمة فضلا عن الجملة فضلا عن الآية والسورة فإن الله خلقهم وصيّرهم حفّاظا له على حسب وُسعهم عربا أو عجما وهم يرتلون القرآن تمامه وإنما أنكروا عليهم من حيث الصوتُ واللّحونُ عربية أو عجمية فهل تحلّ هذه القراءة أو تحرم أو يكفّر صاحبها أو يؤدبون أو يزجرون أو يُنفون؟ فهل يحلّ استماعهم؟ وهل يجوز الإعطاء لهم على وجه إعانتهم؟ فإن المنسوبين لبعض الأمهات العلمية قال به حتى قلَّت نية العامّة وفسدت نياتهم فيهم حتى ربما أدّى إلى ترك القرآن بالكلية والاشتغال بالشعر العربي

والعجمي فقلّ من يحسن إليهم ومن يحبّهم ومن يعتقد فيهم الخير.

فالجواب واللهُ الموفق للصواب: فهاك أيها الراغب في الخير المجتنب للشر وأهله مؤلّفا مسبوكا بالنصوص الدامغة الموافقة للعقائد السنية الراقية مسمّىً "**بإتحاف القرّاء المتحزّبين المعانقين تلاوة كتاب الله المجدّدين**" فاعلموا أيها القرّاء بالترتيل والإخلاص والآداب والتجويد على أيدِي المجودين الكرام البررة الخاشعين لله المتعاونين على حمل أعباء صولة القرآن الحافظين له من الخلل والوهن الذين شاهدناهم واستمعنا منهم في حال تلاوتهم واستقرأنا أحوالهم من صغرنا إلى مدة اثنين وستين سنة من عمرنا أنكم على الحقّ في الحقّ وبالحقّ للحقّ فإنكم قائمون بوظائف الرسالة عائمون في بحار حقائق الدّين فصرتم أحباب الله وخاصته فأنتم الشّجى في حلق إبليس

وذويه. فأنتم الفرقة الصافية لله حيث صيّركم مصاحف كتابه وميادين حقائق رضاه فلم يبق مثلكم على وجه الدنيا قاطبة تفيقون على الاهتمام بدين الله وتنامون عنه ليس لكم نَفَس ضائع فأنتم الظروف لكلام الله الحاملون له فلكم الشرف التام ولكم الهناء الأكمل. كلّ فرد من الأفراد وما اهتمّ به من التجارات وأنواع الكسب والملاهي غيركم اصطفاكم ربكم لمناجاته فهنيئا لكم ثم هنيئًا ثم هنيئًا فحكم الظرف حكم المظروف فلا تصغوا لغيره ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] فلا ينكر عليكم إلاّ المحرومون اللاهون الغافلون فدعوهم في خوضهم فأنتم الأعلون الصادقون التاركون ما عليه اللاهون الغافلون فتلك عادة الله في أحبابه فاصبروا كما صبر أولوا العزم من الرسل فأنتم نواب الرسل الحاملون ما أنزل عليهم من

[1] (91) الأنعام

ربهم فقد قالوا في حقهم مجانين ساحرون فلا يضرّكم ما قالوا عليكم افتراءً فقد تتبعنا قراءتكم فوجدناها صالحة صادقة بعد أن نوصيكم باتباع كيفية الأداء بمدّ ما يمدّ وترك مدّ ما لا يمدّ وإخراج الحروف من محالّها فقد علّمكم أشياخكم رضي الله عنهم وعنكم كيفية الأداء على حسب الوسع فلا تكليف إلاّ بالوسع ولا عبرة بالألحان عربية أو عجمية فالله تعالى خلق العرب وألحانهم وخلق العجم وألحانهم فأَحَبَّ أن يعبد على كل لغة بكل لحن من الألحان وهو عالم بمقاصد عباده. فالمدار على القلوب صفاءً وغيره فلا أظنّ أنه يوجد من حملة كتاب الله من يغير هيئة آدابه فإنه عيب عند القراء فإذا صحّف بعض الصبيان حرفا استعظمه القراء فلا يصبرون عليه البتة فلا يصبرون إن وجدوا محذوفا ثابتا فضلا أن يصبروا لتغيير حرف أو مدّ فكيف ينكر من أنكر فما هو إلا عناد

محض أو عداوة أو غباوة فكيف وقد ورد في فضلكم ما يعلو على كل من ليس بنبيّ لخدمتكم صفة الله تعالى وكلامه فبقدر المخدوم يكون قدر الخادم حتى في الإعراب فالتابع له حكم المتبوع فقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رواه في الكبير ومحمّد بن نصر في كتاب قيام الليل وأبو بكر بن شيبة موقوفا عن ابن عمر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أُعطي أفضل ممّا أعطي فقد عظّم ما صغّر الله وصغّر ما عظّم الله**)[2] وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**ما من شفيع أعظم منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه لا نبيّ ولا ملك ولا غيره**)[3]

---

[2] الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مع اختلاف في اللفظ

[3] قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء للغزالي: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً وللطبراني من حديث ابن مسعود **والقرآن شافع**

رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبراني من حديث بن مسعود: (**والقرآن شافع ومشفّع**)[4] ولمسلم من حديث بن أبي أمامة: (**اقرأوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شافعا لصاحبه**)[5] وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**لو جمع القرآن في إهاب ما مسّته النار**)[6] يعني نار جهنّم المميّزة بين الحق والباطل لا نار الدنيا فإنها تحرق الجلد والمصحف وغيره ولفظ الطبراني من حديث عقبة: (**ما أكلته النار**) وعند البيهقي عن عِصمة بن مالك: (**لو جُمع القرآن في إيهاب ما أحرقه الله بالنار**)[7] فالإهاب

ومشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة اقرؤا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه

[4] الطبراني من حديث بن مسعود رضي الله عنه

[5] مسلم من حديث بن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[6] الدارمي في سننه عن عقبة ابن عامر الجهني رضي الله عنه

[7] البيهقي عن عصمة بْن مَالِك الخطمي الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه

الجلد الغير المدبوغ وروى أبو نعيم في فضائل القرآن قال صلّى الله عليه وسلّم: (**أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن**)[8] وروى السِّنجيُّ[9] في الإبانة عن أنس بلفظ: (**أفضل العبادة قراءة القرآن**)[10] وروى الدارمي من حديث أبي هريرة: (**إن الله عزّوجلّ قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمةٍ ينزل عليهم هذا، طوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا**)[11] وروى البيهقي في الشعب بلفظ: (**قبل أن يخلق**

---

[8] البيهقي في الشعب عن النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه

[9] أبو علي الحسين بن شعيب بن محمّد السنجي (توفي سنة 430 هـ الموافق 1039 م) فقيه شافعي من أصحاب الوجوه المجتهدين.

تفقه على شيخ العراقيين أبي حامد الإسفراييني ببغداد وعلى شيخ الخراسانيين أبي بكر القفال بمرو وهو أخص به. وكان فقيه عصره وعالم خراسان وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان في الفقه.

[10] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[11] الدارمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

السماوات والأرض بألفي عام) [12] والباقي سِواه وروى البخاري من حديث عثمان: **(خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه)**[13] ورواه البيهقي وابن الضَّريس[14] عن عثمان بزيادة: **(وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)**[15] وروى الطبراني عن ابن مسعود: **(خيركم من قرأ القرآن و أقرأه)**[16] وروى البيهقي عن أبي أمامة بزيادة: **(إن**

---

[12] البيهقي في الشعب

[13] البخاري عن عثمان رضي الله عنه

[14] يحيى بن الضريس القاضي الإمام الحافظ رأى محمّد بن أبي ليلى وحدث عن ابن جريج وابن إسحاق وزكريا بن إسحاق وسفيان الثوري وطبقتهم وكان من بحور العلم حدث عنه يحيى ابن معين وابن راهويه ويحيى بن أكثم ومحمّد بن حميد وموسى بن نصر وخلق قال النسائي ليس به بأس وقال الحافظ إبراهيم بن موسى منه تعلمت الحديث قال علي بن المديني كان عند يحيى بن ضريس عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث روى البخاري عن يوسف بن موسى قال مات يحيى بن ضريس في ربيع الأول سنة ثلاث ومئتين.

[15] البيهقي في الشعب عن عثمان رضي الله عنه

[16] الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه

لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له)[17] قال صلّى الله عليه وسلّم: (**يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين**)[18] وروى الترمذي من حديث أبي سعيد: (**من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**)[19] وروى الحسن بن أبي زيد بلفظ: (**من شغله القرآن وذكري**) إلخ عن عمر قال صلّى الله عليه وسلّم: (**يقول الله عزّ وجلّ إذا شغل عبدي ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**)[20] وروى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد قال صلّى الله

---

[17] البيهقي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[18] قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال حسن غريب رواه ابن شاهين بلفظ المصنف اهـ من كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.

[19] الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[20] الطبراني عن عمر رضي الله عنه

عليه وسلّم: (**ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزعٌ ولا ينالهم حِساب حتى يفرغ مما بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاء لوجه الله تعالى وأمَّ به قوما هم به راضون**)[21] وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**أهل القرآن أهل الله وخاصته**)[22] يعني حفظته الملازمين له العاملين به فهم أولياء الله وخاصته كاختصاص أهل الإنسان به تعظيما لهم كبيت الله وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت**)[23] وفي المعجم: (**وجلاؤها الاستغفار**) وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**لَلَّهُ أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى**

---

[21] بقية الحديث: ورجل أذن في مسجد دعا إلى الله ابتغاء وجه الله.

[22] ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[23] البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قينته)[24] يعني استماعا وإصغاء على وجه الإكرام رواه ابن ماجه والحاكم وصحّحه وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**اقرأوا القرآن ولا تغرّنكم هذه المصاحف المعلّقة فإنّ الله لا يعذّب قلبا هو وعاء للقرآن**)[25] رفع إليه صلّى الله عليه وسلّم وأخرج الديلمي في مسند الفردوس: (**إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين**)[26] وروى البيهقي عن ابن مسعود مرفوعا: (**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**)[27] وروى الديلمي عن أنس: (**من قرأ القرآن كتب له بكل**

---

[24] ابن ماجه والحاكم

[25] مصنف ابن أبي شيبة في كتاب الزهد من كلام أبي أمامة رضي الله عنه وقد روي مرفوعا من رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

[26] الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[27] البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه

حرف منه عشر حسنات وحشر في جملة من يقرأ ويرقى)[28] وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسألْ أحدكم عن نفسه إلا القرآنَ فإن كان يحبّ القرآن ويعجبه فهو يحبّ الله سبحانه ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلّى الله عليه وسلّم يعني علامة من أحبّ اللهَ حبُّ القرآن وعلامة من أحبّ القرآنَ حبُّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم وعلامة حبِّ النبي حبّ السنّة وعلامة حبّ السنّة حبّ الآخرة وعلامة حبّ الآخرة ألا يفتتن بزخارف الدنيا وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح بيوتكم فيقال للقارئ ارقأ في درجاتها على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن فمن استوفى قراءة جميعه استوى على أقصى درج الجنة ومن قرأ جزءا منها فرقيُّه في الدراج بقدر

---

[28] الديلمي عن أنس رضي الله عنه

ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. وروى البيهقي مرفوعا: (**من قرأ آية من القرآن كان له درجة في الجنة ومصباح من نور**) روى ابن أبي شيبة موقوفا عن عبد الله بن عمر: (**ومن قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه**) وروى الخطيب عن ابن عمر: (**من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطي نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه**)[29] وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر رفعه: (**من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه**)[30] وروى أبو نعيم رفعه: (**إن البيت الذي يذكر الله**

[29] الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما والبيهقي في الشعب عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[30] الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

فيه يضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض)[31] وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عزّ وجلّ ضاق بأهله وقلّ خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال الإمام أحمد بن حنبل رأيت الله عزّ وجلّ في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرّب به المتقرّبون إليك قال بكلامي يا أحمد قال فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم نقله الجوزي في مناقبه. فالفهم العلم بأحكامه فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه وروى الترمذي من حديث بريدة: (إن أهل الجنة يدخلون على الجبّار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن فإذا

[31] أبو نعيم في المعرفة عن سابط الجمحي رضي الله عنه

سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل)[32] وفي رواية (**لم يسمعوا شيئا أعظم منه ولا أحسن منه**) الحديث وقال كعب القرظي إذا سمع الناس القرآن من الله عزّ وجلّ يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة **قلت:** بحيث لا يظهر ذلّه إلى أحد في قضاء حاجة لنفسه قال ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه **قلت:** تعظيما لما حمله واحتراما له فإنه نعمة جسيمة ومتى احتاج إلى أهل الدنيا فقد استصغر ما عظّم اللهُ ولحقه الوعيد السابق وروى الديلمي في مسند الفردوس: (**حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله**)[33] وروى الطبراني في الكبير

---

[32] الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه

[33] الديلمي في مسند الفردوس

عن عبد الله بن عمر رفعه: (**ليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو أن يحقد فيمن يحقد لكن يعفو ويصفح لفضل القرآن**)[34] رواه الحاكم بلفظ (**لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحدّ مع من يحدّ ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله**)[35] وروى الخطيب عن بن عمر رفعه: (**لا ينبغي لحامل القرآن أن يحدّ فيمن يحدّ ولا يجهل فيمن يجهل ولكنه يعفو ويصفح لعزّ القرآن**) وقال الفضيل: حامل القرآن حامل راية الإسلام ولا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحقّ القرآن وقال سفيان الثوري: إذا قرأ الرجل القرآن قبّل الملك بين عينيه **قلت**: لأن الملائكة أكثر حبا لاستماع القرآن من بني آدم

---

[34] الطبراني في المعجم الكبير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[35] رواه الحاكم

وقال عمر بن ميمون الرماح قاضي بلخ: من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله له عزّ وجلّ مثل عمل جميع أهل الدنيا. وورد في فضل القرآن في المصحف عن أنس عند ابن النجار وقال خالد بن عقبة بن أبي معيط لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم اقرأ عليّ القرآن مما أنزل عليك فقرأ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[36] إلخ فقال أعِد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشرٌ وقال الحسن البصري: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة. يعني من حازه حاز غنىً ما بعده غنى مثله وليس بعده فاقة. وروي مرفوعا من حديث أبي أمامة: (من قرأ خواتم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد

[36] النحل (90)

أوجب الجنة)[37] ورواه أبو الشيخ بلفظ: (**من قرأ آخر سورة الحشر فمات من ليلته مات شهيدا**) وقال الفضيل[38]: من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن وهو تابعيٌّ أرسل عن علي وسلمان: قلت لبعض النساك ما هنا أحد يستأنس به فمدَّ يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا. وقال عليٌّ كرّم الله وجهه: ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم: السِّواك والصيام وقراءة القرآن **قلت**: فكل ما يزيل البلغم يزيد في الحفظ إذ هو رطوبة لزجة تضعف قوة الحافظة

---

[37] البيهقي في الشعب عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[38] الفضيل بن عياض أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري لقب بـ «عابد الحرمين» (107 هـ - 187 هـ).

فالسواك يقطع رطوبات الدماغ والصوم ينشف العروق وقراءة القرآن تذيب البدن **قلت**: لكن ينبغي أن يقرأ القرآن بنية صالحة وترتيل وتدبر إن كان أهلا وإلا اعتقد أنه يقرأ كلام الرب تعالى ويعظم حروفه حسا ومعنى يعمل بما أمره الله على أيدي المجتهدين فيه فلا يكن غافلا عن ربه وعن صفته لأنه ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه: **(رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه)**[39] رفع الديلمي: **(الغرباء في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم)**[40] وقال ميسرة[41] الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وروى الطبراني في

---

[39] ذكره الغزالي في الإحياء ونسبه لأنس رضي الله عنه

[40] (الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم ومسجد في نادي قوم لا يصلى فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح مع قوم سوء) (الديلمي في مسند الفردوس) عن أبي هريرة رضي الله عنه

[41] ميسرَة بن عمار الْأَشْجَعِيّ من أهل الْكُوفَة وَيُقَال ابْن تَمام روى عَن أبي حَازِم الْأَشْجَعِيّ فِي النِّكَاح وروى عَنهُ زَائِدَة.

رجال صحيح مسلم - لأحمد بن علي بن محمّد بن إبراهيم أبو بكر ابن مَنْجُويَه.

الكبير وأبو نعيم في الحلية: (**الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم**)[42] وقال أبو سليمان الداراني[43]: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله منهم إلى عبدة الأوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم **قلت:** ومثله يحمل على الكافرين الكتابيين فإنهم يعلمون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجحدوه فإنّ شرّ الناس قبلنا علماؤهم وخير الناس من هذه الأمة علماؤها فلا يغلط الواعظ بمثله فإنه محط الكافرين فقط وإلا فالعالم

---

[42] الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية

[43] أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري من أهل داريّا قرية من قرى دمشق في سوريا. وصفه الذهبي بـ «الإمام الكبير زاهد العصر». ولد سنة 140 هـ وتوفي سنة 215 هـ

الفاجر أشد على الشيطان من ألف عابد وفي القوت[44] يقال للعبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عزّ وجلّ مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي وقال ابن الرماح قاضي بلخ ندمت على استظهار القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسئلون كما يسئل عنه الأنبياء يوم القيامة **قلت**: يسلك به مسلك التأسف للواعظ وإلا فالكلام يقتضي طلب الحفظ لأنه ينزله منزلة الأنبياء فلا يحلّ الفرار من مقامهم فعليك بحفظه فإنّ من بلّغ عن الله آية أو حديثا يسلك به مسلك الأنبياء في التوصيل ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[45] فهم كل مبلّغ عن الله أحكامه

---

[44] قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد لأبي طالب المكي محمّد بن علي بن عطية

[45] (181) الصافات

فالعلماء يبعثون في صفوف الأنبياء فيكونون شهودا للأنبياء على أممهم لكن لمن علم من الشرع لا من المقدمات العقلية فقط. فاعلم أن حامل القرآن في مقام النبوة إلا أنه لا يوحى إليه روى المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مسكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا يعني صاحب حدة في الخلق. وروى أحمد من حديث عقبة: (**أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها**)[46] وروى

[46] أخرجه أَحْمد وَالطَّبَرَانِيّ من حَدِيث عقبَة بن عَامر بن عبس بن مالك الجهني رضي الله عنه

البيهقي في السنن بلفظ: (**أكثر منافقي أمتي**) **قلت**: الأمة هنا أمة الدعوة وهي كل موجود من بعثته إلى قيام الساعة من الجن والإنس فمنافقوها هم الكافرون لا غير الغير المجيبين لدعوته صلّى الله عليه وسلّم فلا تضلوا في مثله فإنه لا يحل لنبي أن يسب أمة اصطفاها الله واختارها ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[47] إلخ ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[48] فلا يتصور فيه أن يجرح شهادة الله البتة فلا تشاهد هذه الأمة المختارة إلا فعل ربها فيها إذ لا تأثير لمخلوق أيا كان ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[49] اجمع الإياس مما في أيدي الناس فالواجب على كل فرد من أفراد الأمة هو الإخلاص ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ**

---

[47] (32) فاطر

[48] (110) آل عمران

[49] (128) آل عمران

الْخَالِصُ﴾[50] وهو هذا فقد أخلصه الله تعالى من الشكوك والظنون والأوهام العقلية حيث تولى بنفسه التوحيد بسورة الإخلاص مثلا وغيرها وتولى الأحكام كالميراث بنفسه فلا يغلط الواعظ فيجلف على القراء الذين هم في حجر الله وتيار أمواج رحماته فلا يحل للقارئ أن يقف مع غير الله ولا أن ينظر إلى غير ربه تعالى فإنه صدف كتابه وصفته فالرياء حرامٌ ينقل من المزيد إلى التقصير فصفة الله في أصداف أفئدة عباده تحرق الغير والغيرية حتى لا يفهم وجود الأغيار لنظره إلى أن الأشياء كلها ترجع إلى أصلها الله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[51] فلا تعقل الصفة في الحروف ولا في الظروف فيوكل أمرها إلى الله تعالى فلا يحلّ تعقّل الكيف العقليّ فإن الكيف العقلي

---

[50] (3) الزمر

[51] (123) هود

محصور في الحادثات ولم يبق إلا الكيف الشرعي وهو الإيمان به وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعا: (**من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل وأطراف النهار يحلّ حلاله ويحرّم حرامه حرّم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له**)[52] وروى البيهقي من حديث أبي هريرة وروى الطبراني قال صلّى الله عليه وسلّم: (**اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرأه**)[53] **قلت**: أمر بالإئتمار بأوامره والانزجار بنواهيه وإلا فلقلقة لسان مع الكفر بالنبي وبه كالكافرين لا يغني من جوع بل يكون حجة عليه فالمؤمن كله مؤتمر من حيث التعلم والتعليم والندم واعتقاد أنه حق فإن فعل حلّه فرح به حيث وفّقه ربّه له

---

[52] الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعا

[53] الطبراني

وإن التبس بحرام علم بالقرآن أنه حرام فيستحق العذاب والغضب إن لم يعف عليه ربه فكلّه علم من القرآن وطاعة فإن ندم بسبب العلم به أبدلت سيئاته حسنات بفضل الله فيقول الرب (**أذنب عبدي وعلم أنّ له ربًّا يأخذ بالذنب ويعفو**)[54] ويقول في ثالثة (**أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له فليفعل ما شاء**) فمن القرآن يعرف الحلال والحرام ومن توفيق الله ولطفه يأتمر وينزجر فسبحانه من كريم مفضال وروى عبد الحميد عن أبي سعيد قال صلّى الله عليه وسلّم: (**ما آمن بالقرآن من**

---

[54] متفق عليه رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَن رِبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى قَالَ: **أَذنَب عبْدٌ ذَنْبًا فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْلِي ذَنْبِي فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعالى: أَذْنَبَ عبدِي ذَنْبًا فَعَلِم أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فقَالَ: أَيْ ربِّ اغْفِرْلِي ذَنْبِي فَقَالَ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عبدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُالذَّنبَ وَيَأخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فقَالَ: أَي رَبِّ اغفِرْلِي ذَنبي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالى: أَذْنَبَ عَبدِي ذَنبًا فعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ قد غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ.**

استحلّ محارمه)[55] **قلت**: وهو الكافر فقط فالمؤمن إن فعل مخالفة يعدّها محرّمة فيندم ويتوب وأفحش المحرمات الكفر بالله. وفي القوت: إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها **قلت**: وهو المؤمن وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته وقال بعض العلماء إن العبد يتلو القرآن فيلعن نفسه **قلت**: إن كفر بالله وبكتبه ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[56] **قلت**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[57] فالقرّاء الصالحون يرون القرآن رسائل ربهم وتوقيعات فيتدبرونه بالليل ويعملون بمقتضاها في النهار. فهذا وصف كل الأمة من غير سب فرد واحد منها

[55] الترمذي عن صهيب رضي الله عنه

[56] (18) هود

[57] (13) لقمان

بترك العمل وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل **قلت**: مقصوده الأمر بالعمل تلاوة وائتمارا به وانزجارا على كيفية الواعظ لا أنه أخبر بإسقاط أهل زمانه العمل فلا يتصور منهم لأنهم في زمن الخير وهم أشياخنا في التبليغ والعمل به قال عبد الله بن عمر لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينشره نشر الدقل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ

تَرْتِيلًا﴾[58] فالمقصود حفظ حدود القرآن وهو فرض مسؤول عنه وحفظ جميع حروفه واجب كفائي فلا عقاب إن لم يحفظه إن قام به جماعة قوية **قلت:** على عدد من حفظه الآن لئلا يجد الطاعنون إلى تبديله سبيلا فالحافظون له قاموا بالواجب الكفائي فلهم ثواب من أسقطوا عليه الوجوب فهم سادات الأمة المسقطون عنها الحرج لقد أنزل الله آياته مفصلات فكرر ما لا يجب تكراره لتتأمل فيه طولا وعرضا فأوجب علينا الإقبال إلى لفظه وإلى معناه وإلى العمل به وإلى مشاهدة من أكرمنا به ومن أكرمنا به على يديه فنقبل عليه ونترك ما نهانا عنه وإنما هي رسالة تدعو إلى معاينة ربنا في نعمه والتمتع بآلائه فلا يحلّ لنا أن نتركه سدىً مهملا ظهريّا بل نحبّه كما نحبّ ربّنا وقلوبنا وأعيننا وأجلّ فلا يحلّ لنا أن نشتغل بغيره

---

[58] (4) المزمل

عند التلاوة ولا يحلّ لأحد أن يشغل تاليا فنقبل بقلوبنا على ربّنا وندبر بالقرآن عن طرق الشياطين فلا نجعل كتاب ربّنا مهملاً بحيث نعظّم كتاب الإخوان ومحادثتهم وندبر عن كلام ربّنا حتى تنقضي التلاوة فنؤدي لكل ذي حقّ حقّه فآداب التلاوة عشرة الأولى في القارئ وهو كونه على أكمل الحالات من الاغتسال له تعظيما إن أمكن وإلا فالوضوء ويلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتبخر بأطيب ما يجد وإلا تيمم وندب الاستياك قال صلّى الله عليه وسلّم: (إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك)[59] **قلت**: ولو قطع ورجع عن قرب كاستحباب التعوذ إن رجع عن قرب ويستحب الوقوف على هيئة الأدب والسكون أو جالسا مستقبلا للقبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر وكون جلوسه وحده كجلوسه مع

[59] ابن ماجه عن علي كرم الله وجهه

الناس بين يدي أستاذه وأفضل أحواله القراءة في الصلاة قائما في المسجد وكره قوم القراءة في الحمّام والطريق وجوّزها فيهما الشافعي وكرهها الشعبي في الحشّ وبيت الرحى وهي تدور وهو مذهب الشافعي فكله مع عدم قيام المانع وإلا كمرض فلا وللضرورة أحكام تخصها فذكر الله مطلوب في كل الحالات ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[60] إلى آخر الآية فأثنى على الكل لكن (**ابدأوا بما بدأ الله به**)[61] وقرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محدِثا فإن خرج منه ريح أمسك حتى يستتمَّ الريح وحرمت القراءة على الجنُب والحائض وقيل جازت للحائض والنفساء وجاز لهما النظر في المصحف من غير مسّ وإيراده على القلب وإن تنجّس فمه

---

[60] (191) آل عمران

[61] مسلم عن جابر رضي الله عنه

أو يده حرم مسّ القرآن بالنجس ولو لم يكمل وحرم إمرار القرآن على فم نجس كشارب. وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعا: (**من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة**)[62] وعن عمر بن الخطاب رفعه: (**من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**)[63] وروى مسلم من حديث جابر رفعه: (**أيّكم خاف ألاّ يقوم من الليل فليوتر ثم ليرقد ومن وثق بالقيام من الليل فليوتر**

---

[62] الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا

[63] الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من آخر الليل فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل)[64] قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام في الليل أفضل. فللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاستقصار تمكنا من الحفظ وسرعة اللسان وبطئه فالشافعي يختمه باليوم والليلة في غير رمضان ويختم في رمضان مرتين كالأسود وصالح بن كيسان[65] وكان سعيد بن جبير[66] وأمثاله

---

[64] مسلم من حديث جابر رضي الله عنه

[65] صالح بن كيسان (40 هـ - 140 هـ) هو صالح بن كيسان مولى بني غفار وفي رواية مولى دوس وكنيته أبو محمّد وأبو الحارث.

ولد في المدينة المنورة فنشأ فيها وطلب العلم كهلاً وكان أحد التابعين رأى عبد الله بن عمر وسمع منه كما سمع من عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ونافع بن جبير وسالم مولى عبد الله بن عمر ونافع مولى أبي قتادة والزهري وغيرهم.

[66] أبو عبد الله الأسدي الوالبي الكوفي سعيد بن جبير الأسدي (46-95 هـ) تابعي كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة سكن الكوفة

يختمون القرآن مرتين وأكثر في ليلة واحدة ويختم سليم بن عتر ثلاثا في اليوم والليلة ويختم بن الكاتب ثلاث ختمات في اليوم والليلة ويختم منصور بن زاذان[67] بالناس بين المغرب والعشاء ختمتين في رمضان ثم قرأ إلى الطواسين قبل أن تقام الصلاة فلا تقدير فيه وهو موكول إلى نشاط المصلي والقارئ وروى أصحاب السنن وصحّحه الترمذي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (من قرأ

ونشر العِلم فيها وكان من علماء التابعين فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية.

[67] الإمام الرباني شيخ واسط علماً وعملاً أبو المغيرة الثقفي مولاهم الواسطي. ولد في حياة ابن عمر وحدث عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن وابن سيرين وعمرو بن دينار والحكم بن عتيبة وحبيب بن مهاجر وقتادة ومعاوية بن قرة وعطاء وحميد بن هلال وعدة.

روى عنه شعبة وجرير بن حازم وأبو عوانة وهشيم وخلف بن خليفة وخلق سواهم.

القرآن في أقلّ من ثلاث لم يفقهه)[68] وروى النسائي والترمذي من رواية سعيد بن أبي عروبة[69]: **(لا يفقه من قرأ القرآن في ثلاث)** وكره معاذ بن جبل الختم قبل ثلاث كعبد الله بن مسعود: **(من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث فهو راجز)** ويختمه النخعي وغيره في ثلاث وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال **أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ألاّ أختم القرآن في أقلّ من ثلاث**[70] **قلت**: لأن الزيادة على ذلك تمنع الترتيل وحرّمه ابن حزم الظاهري وقال يستحب أن يختمه في شهر ويكره أن يختم في أقل من خمسة أيام ولكن لا حجّة له على تحريمه وإن

---

[68] رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

[69] سعيد بن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران أبو النضر مولى ابن عدي بن يشكر الإمام الحافظ عالم أهل البصرة وأول من صنف السنن النبوية. (689هـ - 773هـ)

[70] الدارمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

طلب التدبّر لمن أمكن له دون كعجمي إذ لا يقال من لم يتفقّه فعل حراما ومراد الحديث أنّ أقلّ من ثلاث لا يسع التأمل والتدبر في معانيه وروي عن بعض السلف قراءة القرآن كله في ركعة واحدة فمنهم عثمان بن عفّان وتميم الداري وسعيد بن جبير. قيل لعائشة رضي الله عنها أنّ رجلا يقرأ حزبه القرآن في ليلة مرتين وثلاثا فقالت **قرأه ولم يقرأه** وأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يختم القرآن في سبع فختم جماعة من الصحابة في جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم وروى مهول أن أقوياء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرءون القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في أكثر من ذلك. فالعابد ينبغي له أن لا ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن سلك اكتفى بختمة لمقام الفكرة وإن نفذ بفكره اكتفى بختمة في الشهر لاشتداد حاجته إلى التأمل

والترديد فمن اشتغل بمصالح الناس فليقتصر على ما لا يشغله يحزب القرآن على قدر تلاوته فكان صلّى الله عليه وسلّم يجزئه ثلاثا وروى الطبراني قال قدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وفد ثقيف فأبطأ علينا ذات ليلة فقال: (**إنه طرأ علي حزبين من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه**)[71].

وندب تحسين حروف الكتابة على قاعدة العربية فيميّز بعض الحروف من بعض إفرادا وتركيبا من غير تغوير الميم والقاف والعين والغين وكلّ ما له جوف ولا يطوّل المرسل ولا يرسل المطوّل فلا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها من الألوان تزينا وصدا عن الخطأ واللحن لمن يقرأه. فالعلامات ما يوضع على رؤوس الآي والوقفات بأنواعها. وإن أنكر ابن سيرين والحسن

[71] عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه

البصري الأخماس والعواشير والأجزاء وإنما كره الشعبي وإبراهيم النقط بالحمرة سدا للباب من الزيادة في المصحف فقال جرّدوا القرآن ولكن لا بأس به فإن الأمة أطبقت عليه ولا يعدون ذلك من القرآن وهو حدث حسن كالسبحة للتعاون وإقامة الجماعة للتراويح قال عمر **نعمت البدعة هذه** فالبدعة الذميمة ما تعارض السنة من كل وجه واعتبار بحيث لا يقبله أصل شرعي فلا يكون النقط والضبط والعلامة والأجزاء من البدع المذمومة لاقتضاء المصلحة ذلك كالتلاوة الجماعة ففيه مصلحة شرعية وهو التبيين والتعاون على طاعة الله فإن المصحف كما قال الأوزاعي مجردا فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فإنه نور ثم بعده نقطا كبارا على رؤوس الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم الخواتيم والفواتح. قال الحسن أما إعراب القرآن

بالنقط فلا بأس به وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر رفعه: (**من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف أربعون حسنة ومن أعرب بعضا ولحن في بعض كان له بكل حرف عشر حسنات**)[72] وقال خالد الحذاء رأيت الحسن يقرأ في مصحف منقوط وكان يكره النقط. فالحجاج بن يوسف الثقفي هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء من البصرة والكوفة منهم عاصم الجحدري ومطر الوراق وشهاب بن شريفة حتى عدوا كلمات القرآن وآياته وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءا وإلى أقسام أخر من أخماس وأعشار فعدد كلمات القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وتسعمائة وأربعة وثلاثون كلمة وانظر ابن الجزري تجد عدد الحروف وغيره فالمقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه فسن عليه الترتيل فلما نعتت

---

[72] البيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا

أم سلمة رضي الله عنها تلاوته صلّى الله عليه وسلّم فسَّرت حرفا حرفا قال علي كرم الله وجهه: **لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها** قالت أم سلمة: **كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلخ قطعها آية آية** تعني ترتيلا لا هذراً ولا عجلة بل مفسرة الحروف مستوفية ما تستحقه من مد وغيره لأنه كان يقطعها آية آية. وقال بن عباس رضي الله عنها **لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة** وروي عنه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾[73] و﴿الْقَارِعَةُ﴾[74] تدبُّرهما أحب إليّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا قال زيد بن ثابت: **لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إليّ من أن أقرأه في خمسة عشر إلخ** سئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان

---

[73] (1) الزلزلة

[74] (1) القارعة

قيامهما واحد غير أن أحدهما قرأ البقرة والآخر ختم القرآن كله فقال هما في الأجر سواء. وأفضل الترتيل والتدبر ما كان في صلاة والتفكر في الصلاة أفضل منه في غيرها فالترتيل مع قلة القرآن أعظم قدرا وثواب كثرة التلاوة أكثر عددا بلا تدبر. واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع فقالوا قراءة جزء بالترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان فالترتيل مستحب مستقل بنفسه لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له الترتيل والتؤدة لأنه أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال كما قاله النووي في شرح المهذّب. **قلت**: فمن لا يفهم معاني القرآن من كل من لم يكن نحويا الآن لا يترك القرآن بل يقرأه تيمنا به وتبركا بفهم أو بغير فهم ولم يكلفوا ما لا طاقة لهم به فيعبدون الله به ولو لم يعرفوا معنى كلمة

منه كالقراء المعلومين عندنا الآن في قبائل العجم والعرب فإن التأمل يضرهم فلا يهتدون إليه سبيلا فالأولى عدم إرسال عقولهم إلى استطلاع معانيه بل يحرم عليهم لأنهم يقصدون غير مدلوله فيقعون في محذور فيعبدون الله به من غير بحث فيه إذ يحرم تفسيره بغير معناه فلا يحل لجاهل بالمدلولات الوضعية أن يعين لها معنى من غير تعليم من أهله. وروى بن ماجه بإسناد جيد: (**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**)[75] وعن ابن مسعود إذ عيناه تذرفان عن عبد الرحمن بن السائب قال قال سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (**إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم**

[75] أخرجه ابْن مَاجَه من حَدِيث سعد بن أبي وَقاص بِإِسْنَاد جيد

يتغن فليس منا)[76] وعن جرير رضي الله عنه قال صلّى الله عليه وسلّم: (إني قارئ عليكم من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة فقرأ فلم يبكوا فقال ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) روى البخاري: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال لي (**يا صالح هذه القراءة فأين البكاء**) وقال بن عباس: إذا قرأتم سجدة[77] ﴿سُبْحَانَ﴾[78] فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه **قلت** وهو حزنه وخشيته على فقد البكاء بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ويتأمل تقصيره فيحزن ويبكي فإن فقد البكاء

---

[76] أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن السائب مرفوعا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

[77] أي التي في سورة الاسراء

[78] (1) الاسراء

أعظم المصائب ويجب على القارئ أن يراعي حق الآيات فإذا مر على سجدة سجد بشروطه كأن سمع من غيره كان القارئ في الصلاة أم لا وسجد المستمع وإن لم يسجد القارئ ومن يستمع من غير قصد ندب له السجود فقط ولا يسجد المصلي إن استمع غيرَه لأنه حرام وإن سجد بطلت ويدعو في سجوده بما يناسب الآية ولا يسجد إلا بشرط الصلاة فالمطلوب سجود القلب لله بالله فإذا سجد لم يرفع أبد الآبدين وهو مشاهدته لمولاه مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم واستحبّ القرّاء أعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم ويقول صلّى الله عليه وسلّم عند الختم: (**اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماما ونورا وهدىً ورحمة اللهم ذكّرني منه ما نسيت وعلّمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهارواجعله لي حجّة يا رب العالمين**) وندب الدّعاء عند الختم وكان أنس

يجمع أهله عند الختم ودعا وأمّنوا على دعائه ومنع أحمد تكرير سورة الإخلاص عند الختم لكن عمل الناس على خلافه لأنه ورد أنها تعدل ثلث القرآن وربما تكون خير المال بما يقرأه من الحروف ولا بد أن يجهر بالقرآن حتى يسمع نفسه عند مالك فالقراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابد من صوت فأقلّه أن يسمع نفسه وإلاّ فسدت صلاته إلا عند مالك الذي يجعل حركة اللسان أقلّ السرّ وأعلاه أن يسمع نفسه فقط وأقلّ الجهر عنده أن يسمع نفسه ومن يليه فإن تهجّى في الصلاة لم تبطل وأمّا الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب إن لم يشوّش على غيره وإلاّ كره. وكُره إن خاف الرياء وروى أبو داوود والنسائي: (**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمُسرّ به كالمسرّ بالصدقة**)[79] قال صلّى الله عليه وسلّم: (**خير الرزق**

[79] أبو داوود والنسائي

ما يكفي وخير الذكر الخفي)[80] رواه أحمد في حديث معاذ.

وروى الخطيب عن جابر: (**لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء**) وسمع سعيد بن المسيّب عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة حاله وهو حسن الصوت يجهر بالقراءة فقال له يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عزّ وجلّ بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لم يغنوا عنك من الله شيئا فسكت وخفّف ثمّ خرج لكن النبيّ صلى الله عليه وسلّم هو الإسوة يسمع جماعة من أصحابه في الليل يعلون ويجهرون بالقراءة فيصوّب ذلك ويسمع إليهم فيحمل على أنّه يشوّش على بعض المصلّين وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها **أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن**

[80] رواه أحمد في حديث معاذ رضي الله عنه

وقال صلّى الله عليه وسلّم: (رحم الله فلانا) إلخ[81] ومن حديث أبي موسى قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (لو رأيتني و أنا أسمع قراءتك البارحة)[82] إلخ (إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن)[83] وفي حديث لمعاذ بن جبل: (إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمّار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته)[84] ومرّ صلّى الله عليه وسلّم على ثلاث من أصحابه مختلفي الأحوال فأبو بكر يخافت فسأله عنه فقال: إن الذي أنا أناجيه يسمعني وجهر عمر وسأله

---

[81] فِي الصَّحِيحَيْنِ من حَدِيث عَائِشَة رضي الله عنها

[82] البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

[83] البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

[84] رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

عنه فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومرّ على بلال يخلط آيات من هذه وآيات من هذه فسأله فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلّى الله عليه وسلّم: (كلكم قد أحسن وأصاب)[85] **قلت**: الإسرار أبعد من الرياء والتصنع فكان خيرا ممن يخافه وإلا ولم يشوش على غيره فالجهر أفضل إذ العمل فيه أكثر خير العبادة أجهرها ففائدة الجهر متعدّية للغير فيه ولأنّه يوقظ قلب القارئ ويجمع همّته إلى الفكر ويصرف إليه سمعه ويطرد النوم وينشطه ويزول كسله ويرجو تيقظ نائم ويقتدي به البطال فيشتاق إلى الخدمة وفي الجهر بأنواع الأذكار سبع نيات الترتيل وتحسين الصوت وإسماع أذنيه وإيقاظ قلبه وتفهم المعاني ومنها أن يردّ النّوم عنه برفع صوته ورجاء من يتبعه وإن حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن

---

[85] أبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه

اجتمعت تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار

قلت: فلأجل إعانة البعض شرعت الأعمال جماعات عبادةً وصلاةً وذكرًا وتلاوةً وأكلاً وغيره ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[86] ﴿فَاقْرَءُوا﴾[87] دليل أصله العموم يعني سرّا أو جهرا جماعات وأفرادا قائمين أو جالسين أو مضطجعين من سائر الأحوال ما لم يرد معارض فلا معارض لعمومهما بل الوارد الأمر به (**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**)[88] وبالاجتماع على الذكر والتلاوة وقع عمل المسلمين ولا عبرة بطعن من لا يعتدّ بخلافه من الحاسدين فقط. فالعموم للقرآن مقدّم على طريق الآحاد فلا تبرأ ذمّة الأمّة من عمومات خطاب ربّها حتى يفترق إلى طائفة كل طائفة

---

[86] النساء (103)

[87] المزمل (20)

[88] الترمذي عن أنس رضي الله عنه

تتعلّق بطريقة من طرائق العموم فالسلف لم ينكروا العمل بالعمومات وإن لم يعملوا بها كلها (**إذا أمرتكم بأمر**) يعني عام (**فافعلوا منه ما استطعتم**)[89] فمستطاع السلف ما عملوا به ولم يكلّفوا باستغراق العمومات لكثرتها فالتجارة مأذون فيها فالذي استطاعه تجّار المدينة وقته وعلمه في وقته وقدر أنه يظهر على يديه فعله ولم يحط بها فجاء الصنّاع الآن ففعلوا ما هو في وسعهم وهكذا مدة الدنيا فلم يجب علينا أن نقتصر على ما أدركه تجّار وقت النبوة فالنبيّ أذن في التجارة بكيفياتها من غير حدّ ولا حصر وكذلك القرآن أمر بالذكر مطلقا من كل ما فيه تعظيم الرب والشفقة على عباده فأدلى حبل الاجتهاد ليستنبط كلّ على قدر وفور نور عقله فَ(**رب مبلغ أوعى**

[89] مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

من سامع)[90] فالاجتماع على معانقة تلاوة القرآن أمرٌ مأمور به من الله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[91] ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[92] وأخذ من الآية الإذن في تكرار لفظ الجلالة وحده بنية تلاوة كلام الله ولا عبرة بمن طعن فالآية قاطعة ظهره ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[93] يعني بتلاوته بقصد تعظيمه ومحبته فلا ينبغي لمن جهل هذه العمومات الخطابيّة أن يشوّش على نفسه وعلى غيره فهل يقتضي الأمر التكرار قولان فالحق أنه من القرائن والأدلة الخارجة فانظر كتابنا المسمّى بـ"**إيضاح ما نبى من أنوار شموس الأصوليين و إفهام ما بناه الفقهاء عل أسام المصطلحين**" ترَ فيه ما يقنعك **قلت** فيه هل يجب اعتقاد

---

[90] ابن ماجه عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه

[91] (2) المائدة

[92] (103) النساء

[93] (1) الأعلى

عموم الدليل قبل بحث المجتهد إن كان خلاف العامّ نعم على الأصحّ فيحمل عليه حيث لم يظهر صارف فإن العموم هو الأصل علمًا وظنًّا فهؤلاء المتحزبون قائمون بطريقة من طرائق العموم إظهارا لمتانة أهل الدين حيث يوجد من كثيرين من العجم والعرب من هو حافظ متقن كلام الله تعالى ومثلهم في القوة كالبحر بل هم أعظم من البحر قوةً حيث كانوا ظروفا لأنوار نور الأنوار فتموّجهم القوة الدِّلالية والأبهة اللدنية حتى اضطربوا عند النطق بما يمكن أن يغلط فيه المتعاونون ويذكرونه بقوة لئلا يقع الاختلاط في الكلام الرّبّي وعند الوقف لئلا يغلط البعض في المتعارف عندهم. فالوقف ليس بواجب وإنما هو علامة الاستراحة فوضع البعض صَهْ فوق السطر تنبيها على اتفاق القراء على الموقوف عليه فيه عُرفا للمجتمعين فصَهْ من العلامات الجائزات التي لا يعتقد مسلم أنها

قرآن كالعلامات التي وضعها الحجاج بن يوسف الثقفي والإمام الهبطي في مصحف المغرب وإن زاد على الأقدمين فنيته صالحة ليعين كيفيةً يعرفها كل المجتمعين المتعاونين على حمل كلام الله فمن قال زاد صحّ وقد زاد في المصحف ما ليس فيه لكن زاده بين الأسطر تنويرا وتنبيها لأهل مناصب النبوة فلفظة صَهْ تنبيهٌ زائد فقط ولا مغمز فيه وإنما يجب على القراء الترتيل والتحسين والتحبير بصيغة عربية أو عجمية فقد مدح صلّى الله عليه وسلّم صوت داوود عليه السلام وهو عجمي ومدح صوت مزماره وإنما المحبة لشيء تحمله على استحسان ألحانه فالطاعنون إنما أنكروا عليهم صوتا عجميا وليس من الحق فلا ينكر على حملة كتاب الله إلا من بغضهم ببغض كتاب الله ببغض الله تعالى وأراد انطفاء نور الله ليشتغل الناس بمزامير الملاهي ولا يقصده إلا إبليس. فيا معشر

القراء اجتهدوا في التجويد على أيد المتجودين فاحمدوا ربكم وعانقوا كلامه بأيّ لحن يؤذن بالتعظيم واجتنبوا الخلل والضعف في الحفظ فإن قلوبكم حاملة لأسرار النبوة فاقرأوا أفذاذا وجماعات محبةً في كلام ربكم وتشييد أركان دينكم الحق القويم فقد سمعنا في أنديتكم ورأينا مقاصدكم وشاهدنا قوة أمواج حفظ بحركم فاتلوه بلين وتلحين وتغنَّوا به وتمتعوا بكلام ربكم ومناجاته فناجوه بكلامه واحمدوا الله الذي جعلكم أصداف لنوره وخلق فيكم ما لم يرده في غيركم جاه الله جاه الله جاه الله في أحباب ومناصب النبوة في عباد الله. فقراءة القرآن في المصحف أعني لمن جوّد ووعاه قلبه حفظا قويا وإلاّ فلا فَ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾[94] إلخ وروى الطبراني: (**قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف**

[94] (5) فاطر

ألفي درجة)[95] وقال أبو عبيد في فضائل القرآن قال صلّى الله عليه وسلّم: (فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة)[96] عن عبد الله بن مسعود قال قال صلّى الله عليه وسلّم: (من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف)[97] (أديموا النظر في المصحف)[98]. وقيل الختمة في المصحف بسبع. وخرّق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما ويقرأ فيه حتى سقط دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[99] وكره كثير من الصحابة أن يمر يومٌ ولم ينظروا في المصحف كعمر بن الخطاب فإذا دخل

---

[95] الطبراني والبيهقي في الشعب عن أوس الثقفي رضي الله عنه

[96] الديلمي في مسند الفردوس عن بعض أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم

[97] أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والديلمي في مسند الفردوس كلهم عن عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه

[98] البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه

[99] البقرة (137)

بيته نشره وقرأ فيه. دخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه وبين يديه مصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يديّ فما أطبقه حتى أصبح. فسنّة القراءة تحسينها وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم. فكيفيات القراءة ثلاثة **التخفيف** وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وإخراج بعضها من بعض بالسكت والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرّك ولا إدغامه من غير أن يتجاوز فيه إلى الحد المؤدي للإفراط لتوليد الحروف من حركات وتكرير الراءات وتحريك السواكين وتطنين النونات بالمبالغة في الغنّات. قال حمزة **أما علمت أن ما فوق البياض برص وما فوق الجعودة قطط وما فوق**

القراءة ليس بقراءة. الثانية **الحَدْر** بفتح الحاء وسكون الدال وهو إدراج القراءة وتصحيحها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ممّا صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقديم اللفظ وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد واختلاس أكثر الحركات وذهاب الصوت إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة. الثالثة **التدوير** وهو التوسط بين المقامين التحقيق والحَدْر وهو ورد عن أكثر الأئمة ممّن مدّ المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع وهو المنفصل وهو المختار عند أكثر أهل الأداء. والفرق بين التحقيق والترتيل أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين والترتيل يكون للتدبّر والتفكّر والاستنباط فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيق وقد ابتدع الناس أصواتا في القراءة ويقال أول ما غُني به من القرآن ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ**

﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾[100] نقلوه من تغنيهم بقول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق عندي بعض ما فيها

وفي مثلهم قال صلّى الله عليه وسلّم: (مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم)[101] وابتدعوا أيضا الترقيص وهو أن يرومَ السكتَ عن الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة وابتدعوا التطريب وهو أن يترنّم بالقرآن ويتهيم به فيمدّ في غير موضعه ويزيد في المدّ على المدّ على ما لا ينبغي وابتدعوا أيضا التحزين وهو أن يأتي على وجه حزن يكاد أن يبكي مع خشوع وخضوع قال صلّى الله عليه وسلّم: (زينوا القرآن بأصواتكم)[102] يعني

---

[100] (79) الكهف

[101] الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

[102] ابن ماجه عن البراء بن عازب رضي الله عنه

رتّلوه وأعربوه وحسّنوا الصوت به واجتنبوا اللحن والتصحيف فيوقع في القلوب ويؤثر فيها. والمراد زينوا أصواتكم بالقرآن والهجوا به واشغلوا أصواتكم به واتخذوه شعارا وزينةً لأصواتكم وروى الحاكم: (**زينوا أصواتكم بالقرآن فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا**)[103] يعني حسّنوا الصوت وجوّدوا الأداء فتنبعث القلوب على استماعه وتدبره والإصغاء إليه لا من حيث لم يخرجه التغني عن التجويد ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف وإلا كُره. أخرج الحديث البخاري قال صلّى الله عليه وسلّم: (**ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن**)[104] يعني استمعه وقال صلّى الله

[103] الحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه

[104] البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

عليه وسلّم: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن)[105] يعني ليس منّا من لم يستغن بالقرآن ولم يذهب إلى معنى الصوت تغنَّيتَ تغنِّيا وتغَانَيتَ تغَانيا بمعنى استغنيت ويقصد به الترنّم وترديد الصوت وهو الموافق للحديث قبله (استمعتْ عائشة رضي الله عنها سالمَ مولى أبي حُذيفة حتى أبْطَأَتْ فسألها ما أبطأك فقالت استمعتُ رجلا فخرج حتى أسمعه. فقال الحمد الذي جعل في أمتي مثله)[106] وهو من قرّاء المهاجرين الأولين واستمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عبدَ الله بن مسعود فقال: (من أراد أن يقرأ القرآن غضًّا طريّا كما أنزل فيقرأ على قراءة ابن أم عبد)[107] رواه

---

[105] أبو داوود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

[106] ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها

[107] أحمد والنسائي

أحمد والنسائي ورواه ابن عساكر بلفظ: (**من أراد أن يسمع القرآن جديدا غضّا كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود**)[108] وقال صلّى الله عليه وسلّم لابن مسعود: (**اقرأ عليّ القرآن فقال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلّى الله عليه وسلّم إني أحبّ أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تفيضان**)[109] وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ بين يديه ويقول له رتّل فداك أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (**إن حسن الصوت زينة القرآن**)[110] فكنت إذا فرغت من القراءة قال زدنا من هذا. واستمع رسول الله

---

[108] ابن عساكر

[109] الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه

[110] الطبراني عن علقمة بن قيس النخعي

صلّى اللّه عليه وسلّم إلى قراءة أبي موسى فقال (**لقد أوتي هذا من مزامير آل داوود** فبلغ ذلك أبا موسى فقال **يا رسول اللّه لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا**)[111].

عن أم موسى أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم هو وعائشة رضي اللّه عنها مرا على أبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته فلما أصبح أتى أبو موسى رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فذكر له فقال **أما إني يا رسول اللّه لو علمت لحبرته لك تحبيرا** عن أنس بن مالك أن أبا موسى كان يقرأ ذات ليلة فجعل أزواج النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يستمعن لقراءته فلما أصبح أخبر بذلك فقال **لو علمت لحبرته تحبيرا أو لشوقتكن تشويقا**[112] أخرجه أحمد. والمراد بالمزمار في الحديث الصوت الحسن وأصله

[111] ابن حبان والحاكم من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه

[112] أخرجه أحمد

الآلة التي يزمر بها. شبّه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار وآل داوود يعني نفسه وآل مقحم وداوود هو النبي الكريم **قلت**: فحسن الصوت يجب من العرب والعجم والطلبة المتحزبون يَنشطون ويُنشِّطون السامعين فترتعد الأفئدة لسماع جلال خطاب الله وتنساق إلى الله بحسن جمال خطابه وهو سوّاق الأفئدة إلى خطاب ومناجاة ربها فلو أمكن للإنسان ألا يفارقهم فإنهم الدالّون على الله فانظر إلى الأزواج يستمعن وإن كان أجنبيا منهن وما ذلك إلا أنهن يستمعن من الله. فالقارئ إنما هو ظرف كصوت الماء في القادوس لا غير. فالمطلوب الماء وظرفه إنما هو آلة لسريان الماء فالمسموع صوت القرآن البارز من فخارها في المعدن. فالكون كله في الحقيقة كذلك. يضرب الله الفخار فيطنطن كل ذرة على حسب الصفاء وغيره فالكون آلة لتسبيحه وتقديسه لا

غير. وإنما الفارق حقائق الأشياء المعلومة لربها فكلٌّ يطنطن على حسب ذوقه واستعداده في علم ربه. عن أبي عثمان النهدي قال صلى بنا أبو موسى الصبحَ فما سمعت صوتَ صنج ولا بربط[113] كان أحسن صوتا منه **قلت:** وعليه فلا بأس بالقراءة بالألحان. وبه قال أبو حنيفة وجماعة من السلف وكرهها مالك وأحمد وعن الشافعي لا بأس بها وروى عنه المزني الكراهة يعني إن أفرط في المد وفي إشباع الحركة حتى يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياءٌ أو يدغم في غير موضعه وإلا فلا كراهة عند الجميع فالكراهة تنزهية فقط لكن الحق أنه حرام يفسّق به القارئ ويأثم المستمع لخروجه عن نهج القراءة. وصوب الشافعية أنه صغيرية فقط إن حذا به حذو أساليب الغناء من غير تغيير وإن غيّر الحروف حرُم

[113] من آلات العزف

إجماعا، فتنزه الأذكار والتلاوة عن أحوال المحبوب فإنه حقّ وجدّ وصدق والغناء هزل ولهو ولعب **قلت**: وهو الصحيح وهو مذهب مالك ورأى الهيثميُ القارئُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال له أنت الهيثمي القارئ فقال نعم قال جزاك الله خيرا. فإذا اجتمع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمروا واحدا يقرأ عليهم سورة من القرآن فلما أذن في واحد أذن في الجماعة من باب أولى للتعاون ويقول عمر لأبي موسى ذكّرنا ربّنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أو لسنا في الصلاة إشارة إلى قوله عزّ وجلّ ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[114] فالرياء حرام وما سوى الله باطل لا ينفع بذاته ولا يضر فالإنسان خلق من ماء مهين فلا يستحق من خُلق من ماء منتن

[114] العنكبوت (45)

ضعيف يخرج من بين الصلب والترائب وخرج من الفرج أن يراءي، فكل ما على وجه التراب تراب فلا تأثير لمخلوق البتة ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[115] فكيف يتصور الرياء فالعمل للناس رياء جليّ وترك العمل للناس رياء خفيّ فلا يترك الحق لخوف رياءٍ فالذكر حقّ ولا تترك الصلاة المفروضة فضلا عن غيرها للرياء فإنه عينه. فأزل ضباب الكون في نظرك واعبد ربك فهو الذي يغنيك. وكان قرّاء البصرة يتهجدون ليلا فتمشي الناس إلى استماع قراءتهم حتى وضع بعض الناس كتابا في الرياء الخفيّ ودقائق النفوس تركوه بالكلية **قلت**: فهو مما لا ينبغي فلا يترك ما تستر به العورة لخوف الرياء وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**من استمع إلى آية من كتاب الله عزّوجلّ كانت له نورا**

---

[115] آل عمران (128)

يوم القيامة)[116] عن أنس: (من استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة)[117] وزاد عند البيهقي ظاهرًا: (كتب له عشر حسنات ومُحيت عنه عشر سيئات ورُفعت له عشر درجات)[118] فيكون القارئ شريكا للمستمع في الأجر لتسببه إن قصد وجه الله فللقارئ أجر وللمستمع أجران وقيل للمستمع تسعة أجور على قدر إنصات كلٍ ونياته. قال صلّى الله عليه وسلّم: (الدال على الخير كفاعله)[119] ولا سيما إن كان عالما بالقرآن فقيها وإياك من الشهوة الخفية فإن القراءة لا يراد بها إلا وجه الله لا غير فلتكن في خلوتك كجلوتك لا تقصد إلا الله الكريم فإنّ غيره ميت بن ميت. فسوّ بين السرّ والعلانية فاقرأ جهرا أو سرا من

---

116 أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

117 الديلمي عن أنس رضي الله عنه

118 البيهقي

119 الترمذي عن أنس رضي الله عنه

غير اكتراث بسماع الناس فإنهم مضطرون إلى ربهم فلولا فضله ما وجد مخلوق فيستوي عندك سماع الناس وسماع الحجر والتراب فنزّل ما سوى ربّك ككورة محشوة بالخِرَق ويجمع عليها كثير من الناس يلعبون بها فغير الله في نظر القارئ قَذىً في العين فالمقصود تعلق القلب بالله فقط ابتداء وانتهاء. فأعمال البواطن لأهل المراقبة والمشاهدة والمعاينة التي خفيت عن أهل الظاهر عشرةٌ فلا بد من مراعاتها في حق التالي فهم أصل الكلام ثم التعظيم له ثم حضور القلب فيه ثم التدبر لمعانيه ثم التفهم على حسب وسعه ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصص ثم التأثر ثم التراقي ثم التبري فيراعيها أهل الأحوال الحسنة فأعلى المقامات من يَشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه فالخصوص يشاهدون معانيَ ما يتلونه ويتحققون بمدد

سيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فيشهد لطف الله بخلقه حيث أهّله الله لاستماع كلامه وفهم معنى خطابه فلا يمكن أن يدرك بالبصر والبصيرة كلام الله إلا بصفات العبد إذ السبب سجاف الحكمة فكلام الله معجز لفظاً ومعنًى وخطًا وأداءً ونزولاً وإدراكًا وسماعًا وفهمًا فلم يكن إلا فضل الله فكل حرف من كلام الله في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف فلو اجتمعت الملائكة كلهم أن ينقلوه من موضعه ما قدروا حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو مَلَك اللوح فيرفعه فينقله بإذن الله فإن الله طوَّقه ذلك فيحضر القارئ عظمة المتكلم وأنه ليس من كلام البشر ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[120] يعني بدنًا وحدثًا وقلوبًا فلا يصلح لتلاوته كل لسان ولا يدرك كل معانيه كل قلب فتعظيم الكلام

[120] الواقعة (79)

تعظيم الرب (هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي)[121] فلا مناسبة بيننا وبين ربنا إلا مناسبة الإفضال منه تعالى. فعظم أولا المتكلم ليتيسر تعظيم الكلام ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[122] واجتهاد فلا أحَبّ من القرآن فلا تحدث قلبك بغيره عند تلاوته فاشتغل بالقرآن ولا تحدّث نفسك بغيره وهو هوانا ولِجامنا وقوَّتنا وقوتُنا وراحتنا وذوقنا وأُنسنا وجَنّتنا وجُنتنا وحُكمنا وحاكمنا فهذا الهوى الواجب الحلال الطيب فبه عرفنا ربنا وبه خدمناه وبه نصلي ونَلِدُ ونتزوج لربنا فالمقصود التدبر فسُمي الترتيل إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها ففقه الأعجمي فيه أن يعلم أنه كلام الله فقط حتى يفتح له ربه. فلأن تختلف الألسنة أحب إلي من أن يخطر غير القرآن في حلقه حين التلاوة.

---

[121] مالك وأبو داود والنسائي عن مسلم بن يَسَار رضي الله عنه

[122] (12) مريم

وقد ردّد صلّى الله عليه وسلّم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة متدبرا فيها قال أبو ذر رضي الله عنه[123] قام بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة فقام بآية يُرددها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[124] وقام تميم الداري بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾[125] الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[126] وروي عن عائشة مثله وأسماء. والمقصود التفهم والتفهم مع قلة القرآن أفضل قال علي كرم الله وجهه: **ما اختصنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسر ولا بلفظ إلا فهمًا يعطيه الله لمن يشاء من عباده في**

---

[123] النسائي وابن ماجه

[124] المائدة (118)

[125] الجاثية (21)

[126] يس (59)

كتابه[127] ومن أراد علم الأولين والآخرين فلينثر القرآن. فعلومه تحت أسمائه تعالى وإذا ذكر الله القصص فالمقصود به المكلف أنه إن صدر منك مثله فعلتُ لك إن شئتُ مثله أو أقل أو أعظم إياك أعني واسمعي يا جارة فلا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد فهو الميزان ويستغني بالمولى عن العبيد فمعاني القرآن من الملكوت قال صلّى الله عليه وسلّم: (**لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت**)[128] فكل ما لا يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت. وخلق شيطانٌ وُكّل بالقراء يشغلهم بالألفاظ يشوّش أنه لم يخرج الحروف من موضعه حتى يحيره ويملكَه ويصيره ضحكة حيث أطاعه في هذا

[127] البخاري عن وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة رضي الله عنه

[128] أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

التلبيس فمتى تنكشف المعاني لمن اشتغل باللفظ فقط فالواقف مع قراءته والمهتم بتجويد حروفه واختياره محجوب بعقله مردود إلى ما تقرر في علمه موقوف مع ما تقرر في قلبه مزيده على مقدار علمه فهو مشرك بعقله داخل في الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء فإن قلد القارئُ أقوال الناس وصمّم على عدم مخالفتهم صار شخصا قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكن أن يحضر في باله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه وإن انكشف برق حمله الشيطان على التقليد فإن العلم حجاب أعني على التقليد لتقليده ما حرّره المتعصبون للمذاهب. فغاية ما يصل إليه العقل الرباني أن الفاعل يفعل في ملكه ما يشاء. وأن ما سوى الله جائز مقدور الله فلا يعجزه شيء فإن أراد أن يزيل الحجاب بينه وبين من أحبَّ فعل في الحقائق القديمة

والحادثة فالمحال الذاتي هو الممنوع وغيره إنما انبنى على الجواز فهو جائز. فمن قلد القرآن وصل فيصل بالبصيرة النافذة الموفّقة ما لا يخطر ببال غيره ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[129] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[130] فالذي آثر غَرور الدنيا على غيرها فليس له حظ من اللّبّ فله عدمُ اسرار القرآن فإن قرأت تفسيرا فاستعن به ولا تعتقد أن معنى القرآن محصور فيه وإلا مُنعت فيقال لك فسَّرت برأيك لا أن ما فسرت بموهبة من ربك فاذكر قول عليّ كرّم الله وجهه: **إلا أن يؤتى العبد فهمًا في القرآن** فلو تعين المعنى ما اختلف الناس فيه فإذا سمعتَ الخطاب فقل أنا وحدي المؤيد به والمقصود به لا غير إياك أعني إذا سمعت

[129] غافر (13)

[130] الرعد (19)

غير مقصود به ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[131] فقد ثبَّت قلبك بما خاطبك به فالخطابُ يشمل أعز الأفراد فكلٌّ يأخذ منه نصيبه على وُسعه فهو شفاء وهدى ورحمة للعالمين فلذلك قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[132] يعني اشكروها. اللسان أحد الشاكرين. قال: ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾[133] ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[134] ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[135] فمن بلغه القرآن فكأنه كلّمه الله فنقرأ كما يقرأ العبد كتاب مولاه. فالقرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ﴿هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

---

[131] هود (120)

[132] آل عمران (103)

[133] النساء (58)

[134] الأنبياء (10)

[135] الأنعام (19)

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[136] ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[137] فيتأثر القلب بمعاني القرآن باختلاف الآية بسطا وقبضا فمن تمت معرفته غلبت عليه الخشية والرهبة ألزم الأوصاف به فإن المغفرة في القرآن مشروطة بشروط أولهم ربما يعجز منها البشر ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[138] فلما بعدت رتبة الاهتداء أتبعها بِـ﴿ثُمَّ﴾ فذكر في سورة العصر أربعة شروط لنفي الخسارة فإذا وجدت وجدت سلامة الإيمان وعمل صالح والمواصاة بالحقّ وهو التوحيد وبالصبر على الطاعة امتثالا وعلى المعصية تجنّبا وعلى مجاري الأقدار تثبتا ورضىً فالقرآن هو أكثر الأحكام التي ترقق القلوب بالخشية إذ يتصف

---

[136] (82) الإسراء

[137] (82) الإسراء

[138] (82) طه

بصفة الآية المتلوة فيتضاءل في الوعيد وعند تقييد المغفرة بالشروط حتى يكاد يموت وعند التوسع والوعد بالمغفرة يستبشر كأنه يطير وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند مقالات الكفار يغضّ صوته وينكسر حياء من قبح اعتقادهم وعند سماع الجنة نشط وهشّ لها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا وإلا يتخلق به كان حاكيا فقط ﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[139] فإن اتصف وإلا صار حاكيا فيقال له مالك ولكلامي وأنت معرض عني فدع عنك كلامي قال يوسف ابن اسباط: إذا ذكرت عجزي عما في القرآن عدلت إلى التسبيح مخافة المقت وأن يلعنني القرآن لأن من يقرأ القرآن ومال إلى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزؤا ومن كان طلب الفضائل

[139] (4) الممتحنة

أهمّ إليه من ترك الذنوب فهو مخدوع ويكون أفضل أعماله أضرّ به من ذنوبه. قال صلّى الله عليه وسلّم: (**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه فقوموا عنه**)[140] ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[141] قال صلّى الله عليه وسلّم: (**إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى**)[142] **قلت**: فلا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه ولا يقربه حتى ينظر فيه وإليه فيعرف معنى الخطاب واطلع على باطن الكتاب. قال صلّى الله عليه

---

[140] ابن حبان عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه

[141] (2) الأنفال

[142] ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه

وسلّم: (**لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عزّ وجلّ**)[143] فاقرأ القرآن على الله فما أمرك به امتثلته وما نهاك عنه فاجتنبه. في الصحيحين عن أنس: **جمع القرآن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربعة كلهم من الأنصار: أُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد و أبوزيد أحد عمومة أنس**[144] زاد البعض أبا الدرداء وسعيد بن عبيد ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد وختم بن عباس على أُبيّ وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفّة على أبي هريرة فلما سمع رجلٌ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[145] إلخ انصرف وقال حسبي وقال صلّى الله

---

[143] ابن ماجه

[144] الشيخان عن أنس رضي الله عنه

[145] (7) الزلزلة

عليه وسلّم: (**انصرف الرجل وهو فقيه**)[146] فالقارئ باللسان المعرض عن العمل هو ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[147] إلى ﴿وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[148] فإن اشترك اللسان والعقل في التلاوة كانت حقا. فحظ اللسان تحقيق الحروف، وحق القلب الائتمار بالمعاني والحروف ظروف والمعاني مظاريف، فيترقى القارئ حتى يسمعه من الله عزّ وجلّ ويرى نفسه وصوته ظرفا محرّقا بصولة أنوار المظروف فالمراتب ثلاثة: أن يستحضر أنه بين يدي ربه ويسمعه من الله. والثاني أن يشهد بأن الله يراه ويخاطبه بألطافه فيستحي ويعظم ويصغي إليه ويفهم عنه والثالث أن يرى

---

[146] أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

[147] طه (124)

[148] طه (126)

في الكلام المتكلم به وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من أنه منعم عليه بالتعلق التام بالمتكلم لاستغراقه في المتكلم حبّا وفرحا به، فالثالثة درجة المقربين والاثنان درجة أهل اليمين ودونها درجات الغافلين وبالدرجة الثالثة نبَّه جعفر الصادق: **والله لقد تجلى الله لخلقه في كتابه ولكن لا يبصرون** فمن تلاه كأنه سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حصلت له حلاوةٌ تنقله إلى أنه يسمعه من جبريل في حال إلقائه على الشارع ثم به ينقل إلى أنه يسمعه من الله فيصل إلى لذة لا يصبر عنه نفسا واحدا **قلت**: فهذه جنة المقربين العارفين لا جنات المحسوسات كالروح والولدان قال حذيفة وعثمان رضي الله عنهما: **لو طهُرت القلوب لم تشبع من القرآن** قال ثابت البناني كابدت عشرين سنة فتمتعت بعدها عشرين سنة. وهو

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[149] من جلاله لجماله ومن لم ير الله في كل شيء فقد رأى غيره ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾[150] فكل التفات إلى شيء تضمن شركا فالتوحيد الخاص ألا يرى في الوجود إلا الله لأنه حقيقة الحقائق ونور الأنوار فلم يبق عند المقرّبين إلا الله فسكروا سكرا وقع دون عقولهم فيسمى هذا المقام اتحاد المراد والتوحيد الخاص فينتقل إلى مقام التبري من حوله وقوته إلى حول الله وقوته وإن تلا آية المقت شاهدها من نفسه فله قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الله إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له فقال ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[151] فيقول أستغفر الله من تقصيري سبعين مرة. فإن لم

---

[149] الذاريات (50)

[150] الذاريات (51)

[151] إبراهيم (34)

يشهد نفسه ولا غيره كشف له في الملكوت فتنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كأنه يراها أبدًا لاشتمال كلام الله على السهل والشديد الخوف إذ في القرآن كلام راض وكلام غضبان وكلام جبّار وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار منتقم وكلام جبّار متكبر لا يبالي وكلام حنّان عطوف لا يهمل.

فأعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات وأعرف الناس بمعاني الأوصاف والأخلاق أعرفهم بسرائر الخطاب. قال صلّى الله عليه وسلّم: (إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدًّا ومطلعا)[152] فالظهر الظاهر من معانيه والبطن الباطن من معانيه من الأسرار والحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد فلا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وإنك لا تفقهه

[152] ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه

تماما حتى تمقت الناس في جانب الله وقال سهل التستري لكل آية ستون ألف فهم فالقرآن يحتوي على سبعة وتسعين ألف علم ومائتي علم فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها. قال صلّى الله عليه وسلّم: (**اقرأوا والتمسوا غرائبه**)[153] ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[154] يعني الفهم في القرآن ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾[155] فالفهم مقدّم على الحكم فيحرم أن يفسِّر القرآن على مقتضى طبعه وهواه بحيث مثلا يحبّ الخمر فيسميها بغير اسمها ويأتي بالقرآن ليكون حجة على هواه الفاسد الباطل فهذا

---

[153] ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه

[154] البقرة (269)

[155] الأنبياء (79)

هو الرأي المذموم فقط وأما القرآن فقد اشتمل على مائة ألف علم وستة وستين ألف علم تحت كل حرف وهي مكتوبة في أدائه ظل الحرف في اللوح المحفوظ من التبديل لا من الوصول إليه فالترتيل تجويدُ الحروف ومعرفة الوقوف والابتداء فإن باب الوقف جليل القدر عظيم الخطر إذ لا تعرف معانيه إلا بمعرفة الفواصل ومنها الوقف فكما لا يجوز أن يقرأ القرآن كله في نفس واحد ولا يجوز التنفس في وسط الكلمة ولا في وسط المعنى فوجب اختيار وقفة التنفس والاستراحة وتعين ارتقاء ابتداء بعده بحيث لا يخلّ بالمعنى ولا يخلّ بالفهم فيحصل الإعجاز والقصد فوجب تعلّمه بإجماعٍ من الصحابة فتواتر تعلّمه والاعتناء به فلا يحل لأحد أن يجيز حتى يتعلم الوقف والابتداء نحو ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[156] فلا

---

[156] (26) الرحمان

تسكت حتى تقول ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[157] فالوقف على ثلاثة: حسنٌ وتامٌّ وقبيحٌ فالحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كَ﴿الحَمْدُ للّهِ﴾ فلا يحسن الابتداء بما بعده لأنه صفةٌ. فالقبيح ما ليس بتامّ ولا حسن كالوقف على ﴿بِسْمِ﴾ إذ لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ككل معنى متعلق بما بعده أو قبله كالنعت والعطف والتوكيد والبدل والشرط دون جوابه والمستثنى دون المستثنى منه أعني أداء فقط ولا يحرم ولا يكره إن لم يقصد إبطال معنى القرآن وإلا كفر، ورخص الوقف للضرورة كالطول للفواصل فالوقف والقطع والسكت ألفاظ مترادفة عن الأقدمين فالمتأخرون يفرقون فقالوا القطع قطع القراءة رأسا والوقف أن يسكت زمنا يتنفس

[157] الرحمان (27)

فيه عادة تنفس أم لا والسكت أن يسكت زمنا لا يتنفس فيه عادة فكل ما أجازوا عليه الوقفَ أجازوا الابتداء بما بعده فالوقف في كلام العرب أوجهٌ كثيرة والمستعمل عند القراء تسعةٌ السكون والرَّوْم والإشمام والإبدال والنقل والإدغام والحذف والإثبات والإلحاق فالأصل هو السكون على الكلمة المحرَّكة وصلاً فمعنى الوقف الترك والقطعُ إذ هو ضد الابتداء فكما لا يبتدأ بساكن لا يقف على متحرك فالرَّوم عبارة عن النطق ببعض الحركة بتضعيف الصوت في ضمٍّ أو كسرٍ أو جزمٍ أو رَفْع لا في الفتحة لخفَّتها فإذا خرج بعضها خرج كلها فالإشمام عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويتٍ بجعل شفتيك على صورتها في الضمة فقط إعرابا أو بناء إن لزمَتْ لا في العارضة ولا في ميم الجمع عند مَن ضَمَّ وهاء التأنيث فلا روْم ولا إشمامَ بما يوقف عليها بالهاء بخلاف ما يوقف

عليه بالتاء في الرسم وإنما ورد الروم والإشمام عن أبي عمرو والكوفيين نصا ولم يأت عن الباقين واستحبه أهل الأداء وفائدته بيان الحركة التي ثبتت في الوصل ليظهر للسامع كيف تلك الحركة ويظهر الإبدال في المنصوب المنوّن يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين كإذَنْ وفي الاسم المنفرد المؤنث يوقف عليه بالهاء كـ﴿رَحْمَةٌ﴾ وفيما آخره همزة متطرفة أو ألف بعد حركة فيوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مَدٍّ كـ﴿ٱقْرَأْ﴾ و﴿نَبِّئْ﴾ و﴿بدأ﴾ و﴿يَشَآءُ﴾ والنقل فيما آخره همزةٌ بعد ساكنٍ فنقل حمزة في الوقف حركته إليه ثم تحذف صحيحا كـ﴿دِفْءٌ﴾، ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾، كـ﴿جُزْءًا﴾ ﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ ولا ثامن لها أو ياء أو واو أصليتين حرف مد نحو كـ﴿مُسِيٓءٌ﴾ وَ﴿جِيٓءَ﴾ و﴿يُضِيٓءُ﴾ ﴿أَن تَبُوٓأَ﴾ ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ أم لين نحو ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾ ﴿قَوْمَ

سَوْءٍ﴾ ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ فالإدغام عبارة فيما آخره همزة

بعد ياء أو واو زائدتين فيقف حمزة بالإدغام بعد إبدال

الهمزة من جنس ما قبله نحو ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ و﴿بَرِيٓءٌ﴾

و﴿قُرُوٓءٍ﴾ فالحذف في الياءات الزوائد عند من يثبتها

وصلاً ويحذفها وقفًا وياءات الزوائد الغير المرسومة فنافعٌ

وأبُو عمرو وحمزةُ والكسائي وأبو جعفر يثبتونها وصلاً

ويحذفونها وقفًا ويثبتها ابن كثير ويعقوب في الحالين

ويحذفها في الحالين خَلدٌ وابن عامر وعاصم وربما خرج

بعضهم عن أصله فالإثبات في الياءات المحذوفات وصلاً

عند من يثبتها وقفًا كـ﴿وَاقٍۖ﴾ و﴿بَاقٍۖ﴾ فالإلحاق ما يلحق

آخرَ الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها كعمَّ وفيمَ

وبمَ ومِمَّ والنون المشددة من جمع الإناث نحو هنّ والنون

المفتوحة نحو الظالمين والذين المفلحون والمشدّد المبني

﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ﴾ و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ و﴿مُصْرِخِيَّ﴾

و﴿لديَّ﴾ واعلم أنهم أجمعوا على اتّباع المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتًا وحذفًا ووصلاً وقطعًا وإن ورد اختلاف في أشياء كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء وبإلحاق الهاء فيما تقدّم وغيره وبإثبات الياء فيما لم يرسم بها والواو في ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾[158] ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[159] ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[160] ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾[161] والألف في ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[162] ﴿أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾[163] ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[164] وتحذف النون في ﴿وَكَأَيِّن﴾[165] كيف وقع

---

[158] (11) الإسراء

[159] (6) القمر

[160] (18) العلق

[161] (24) الشورى

[162] (31) النور

[163] (49) الزخرف

[164] (31) الرحمان

[165] (146) آل عمران

فيقف عليها أبو عمرو بالياء ويُوصِلُ ﴿أَيَّاماً﴾ في الإسراء و﴿مالَ﴾ في النساء والكهف والفرقان و﴿سأل﴾ وقطع ﴿ويكأن﴾ ﴿ويكأنه﴾ و﴿ألا يسجدوا﴾ من القراء من يتبع الرسم في الجميع قال الداني الفتح أو الإمالة لغة لفصحاء العرب فإخلاص الفتح للحجاز والإمالة لغةُ عامة أهل نجد من تميم وأسد وقَيْس قال صلّى الله عليه وسلّم: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها و إياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين)[166] فالإمالة من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها فيَرَون أن الألف والياء في القراءة سواء يعني التفخيم والإمالة قرأ رجلٌ على ابن مسعود ﴿طَه﴾ ولم يكسِر فقال عبد الله ﴿طِه﴾ بكسر الطاء والهاء فقال **والله لهكذا علمني رسول**

[166] الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

الله صلّى الله عليه وسلّم[167] قال ابن مسعود قرأ صلّى الله عليه وسلّم ﴿**يا يحيى**﴾ بالإمالة فقيل وليست لغة قريش فقال: (**لغة الإخوان بني سعد**) فاحتج الكوفيون بالياءات في موضع الألفات في المصحف فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات فالإمالة أن ينحوَ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحضُ والإضجاعُ والبطحُ والكسرُ وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبيْن بيْن فهي قسمان شديدة ومتوسطة وهما جائزتان والشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه والمتوسطة بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة واختار الداني الإمالة الوسطى وهي بيْن بيْن ليُحَصِّلوا فائدتهما وهي الإعلام بأن أصل الألف الياءُ والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضعه أو مشاكلتها

---

[167] أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن زر بن حبيش التابعي

للكسرة المجاور لها أو الياء وأما الفتح فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف وهو التفخيم وهو شديد ومتوسط فالشديد نهاية فتح الشخص فاه بالحرف ولا يجوز فهو معدوم في لغة العرب والمتوسط ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة وهو المعمول به عند القرّاء فالفتح أصلٌ والإمالة فرع لأنها لا تكون إلا لسبب وأيضا ولو وجد السبب فغير واجبة لوجود من يفتح مع السبب فاطَّرد الفتح. والكلام في الإمالة على خمسة أوجه أسبابها ووجوبها وفائدتها ومن يميل ومن لا فأسبابها عشرة فانظرها في الداني وابن جزري وكره قوم الإمالة لحديث: (**نزل القرآن بالتفخيم**)[168] ثم رخص في الإمالة أو يقرأ على صوت الرجال من غير خضوع صوتٍ كصوت النساء أو

[168] أخرجه الحاكم في المستدرك ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان عن زيد بن ثابت رضي الله عنه

نزل بالشدة والغلظة أو للتعظيم والتبجيل أو تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها نحو ﴿الجمعةِ﴾ فأهل الحجاز يفخمون الكلام يعني يحركونه إلا حرفا واحدا وهو عشرة يسكنونه وأهل نجد يسكنون إلا عشرةٌ بالكسر قال الداني فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر فخذ الكلام في الإدغام والإظهار والانقلاب والإخفاء فالإدغام النطق بالحرفين حرفا كالتّام مشددا وهو إلى كبير وصغير فالكبير ما كان أول الحرف محركا فيه مثلين أم جنسين أم متقاربين وسُمِّي به لكثرة وقعه إذِ الحركة أكثر من السكون وينسب لأبي عمر بن العلاء. وورد عن جماعة خارجة عن العشرة فوجهه طلب التخفيف ولم يذكره البتة كثير من القراء المصنفين فالمتماثلان ما تقاربا مخرجا وصفة والمتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفةً والمتقاربان ما تقاربا مخرجا أو صفة فوقع المتماثلين في

سبعة عشر حرفا وهو الباء والهاء والتاء والياء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو نحو ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[169] ﴿الْمَوْتِ ج تَحْبِسُونَهُمَا﴾[170] ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[171] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[172] ﴿النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾[173] ﴿يَشْفَعُ عِندَهُ﴾[174] ﴿يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾[175] ﴿اخْتَلَفَ فِيهِ﴾[176] ﴿أَفَاقَ﴾

---

[169] النساء (105)

[170] المائدة (106)

[171] البقرة (191)

[172] البقرة (185)

[173] الحج (2)

[174] البقرة (255)

[175] آل عمران (85)

[176] البقرة (213)

﴿قَالَ﴾[177] ﴿قَالَ لَهُ﴾[178] ﴿إِنَّكَ كُنتَ﴾[179] ﴿لَا قِبَلَ لَهُم﴾[180] ﴿الرَّحِيمِ مَلِكِ﴾[181] ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ﴾[182] ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾[183] ﴿فِيهِ هُدًى﴾[184] ﴿يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾[185] بشرط التقاء المثلين خطًا دون نحو ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾[186] من كلمتين وإن في كلمة فلا يدغم إلا في حرفين ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ في البقرة و﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ في المدثر ولا يكون الأول تاء متكلم أو خطاب

---

[177] (143) الأعراف

[178] (37) الكهف

[179] (35) طه

[180] (37) النمل

[181] (2 و3) الفاتحة

[182] (30) البقرة

[183] (63) النحل

[184] (2) البقرة

[185] (254) البقرة

[186] (26) الملك

دون ﴿كُنتُ تُرَابًا﴾[187] ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ﴾[188] ولا مشددا ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾[189] ﴿رَبِّ بِمَا﴾[190] ولا مُنوَّناً نحو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[191] فالمدغم من المتجانسيْن والمتقاربيْن ستة عشر حرفا (**رضَّ سنشدُّ حجَّتك بذل قثم**) إلخ فهاك مدّا وهو زيادة مَطّ في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه والقصر ترك تلك الزيادة على المد الطبيعي وحرف المد الألف مطلقا والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها فسببه لفظي ومعنوي فاللفظي إما همزٌ أو سكونٌ فالهمز يكون قبل حرف المد وبعده نحو﴿ءَادَمَ﴾ و﴿رَءَا﴾ و﴿إِيمَانَ﴾

---

[187] النبأ (40)

[188] الزخرف (40)

[189] القمر (48)

[190] القصص (17)

[191] المائدة (39)

و﴿خَاطِئِينَ﴾ و﴿أُولُوا﴾ و﴿المَوْءُودَةُ﴾ فإن كان معه في الكلمة الواحدة فهو المتصل ﴿أُولَئِكَ﴾ ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ و﴿السُّوءِ﴾ و﴿مِنْ سُوءٍ﴾ و﴿يُضِيءُ﴾ وإن كان حرف المد اخر الكلمة والهمز أول الأخرى فهو المنفصل ﴿بِمَا أُنزِلَ﴾[192] ﴿يَا أَيُّهَا﴾[193] ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾[194] ﴿أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[195] ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾[196] ﴿بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[197] لأن حرف المد خفي والهمز صعب فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب والسكون إما لازم وهو لا يتغير في حاليه نحو ﴿الضَّالِّينَ﴾ ﴿دَابَّةٍ﴾ أو عارض وهو الذي يعرض للوقف ونحوه نحو ﴿العِبَادِ﴾ و﴿الحِسَابِ﴾

---

[192] (4) البقرة

[193] (21) البقرة

[194] (14) البقرة

[195] (275) البقرة

[196] (21) الذاريات

[197] (26) البقرة

و﴿نَسْتَعِين﴾ و﴿الرَّحِيم﴾ و﴿يُوقِنُون﴾ حالة الوقف و﴿يَقُولُ رَبَّنَا﴾[198] حالة الإدغام ووجه المد للسكون التمكن من الجمع بين الساكنين فكأنه قام مقام حركة وأجمع القراء على مدّ نوعيْ المتصل وذي الساكن اللازم واختلفوا في مقداره وفي النوعين الآخرين وهما المنفصل وذو الساكن العارض وفي قصرها فاتفق الجمهور على مدّ المتّصل قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش فالمنفصل سمي به لأنه يفصل بين كلمتين ومد البسيط لأنه يبسط بين كلمتين ومد الاعتبار لاعتبار كلمتين من كلمة ومدّ حرف بحرف أي مد كلمة لكلمةٍ والمدُّ الجائز من الخلاف في مده وقصره وحاصل الخلاف أنّ له سبع مراتب القصر وهو حذف المد العرضي وإبقاء ذات حرف المدّ على ما فيهما من غير زيادة. الثانية فُوَيْقَ القصر قليلاً وقُدِّرت

---

[198] البقرة (200)

بِألِفَيْن وبعض بِألِفٍ ونصف. الثالثة فُوَيْقَها قليلا وهي المتوسط عند الجميع بثلاث ألِفات إلى أربعة فويقها قليلًا بأربع ألِفات. الخامسة فويقها قليلاً بخمس ألفات. السادسة فوق ذلك بخمس ألفات السابعة بسِتِّ ألفات لورش ومدُّ المبالغة في ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[199] سببه معنوي قصدا للتطويل بنفي ما سوى الله فحفظ القرآن فرض كفاية على الأمة بحيث لا ينقطع عدد التواتر فيه وإلا أثم الكلُّ وتعليمه أيضا فرض كفاية وهو أفضل القُرب فكيفيات القراءة بثلاث التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقّه من إشباع المدّ وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاسٍ ولا

---

[199] محمّد (19)

إسكانٍ محرّك ولا إدغامه وهو يكون لرياضة الألسُن وتقويم الألفاظِ الثانية الحَدِرُ والثالثة التَّدِوير ومن المهِمّات تجويد القرآن فالتجويد حلية القرآن وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكليف فإننا نتعبد بصحيح ألفاظ القرآن كما تعبدنا بالمعنى وعدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً إما جليا أو خفيا فاللحن خللٌ يطرأ على الألفاظ فيخل إلا أن الجلي يخل إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراء وغيرهم وهو الخطأ في الإعراب والخلل يخل إخلالا يختص بالقراء والأداء الذين تلقوه من أهل الأداء فتريض الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى وقاعدته ترجع إلى كيفية الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف فالذي عليه السلف

أخذ كل ختمة بروايةٍ فلا يجمعون رواية مع غيرها وفي وسط المائة الخامسة ظهر جمع القرآن في ختمة واحدة وبه العمل للمتأخرين وهي قراءة التركيب لمن يجد قل قراء بانفرادها. فالقرآن محفوظ من تلبيس الروايات فيجوز أن يعلّمه إن برع بلا إجارة وإنما مُنع في الحديث للتخليط فما اعتاده بعض المشائخ من توقيف الإجارة على مالٍ ممنوع شرعا. روى أبو داوود عن عبادة بن الصامت أنه علَّم رجلا من أهل الصُّفة القرآن فأهدى له قوسا فقال صلّى الله عليه وسلّم: (إن سرّك أن تُطوَّق به طوقا من نار فاقبلها)[200] **قلت**: فإن دخل عل الحسبة فلا يقبل شيئا والثاني إن علَّم بلا أجرة الأرجح الجواز والثالث أن يعلِّم بغير شرط فالأول عمل الأنبياء مأجورٌ والثاني اختلفوا والراجح الجواز والثالث يجوز إجماعا فإن النبي صلّى الله

[200] ابن ماجه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

عليه وسلّم يقبل الهدية من الأمة قال ابن الصلاح فقراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر فسمعت منه الملائكة فحرصوا على استماعهم من الإنس وندب كثرة تلاوته ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾[201] في الصحيحين عن ابن عمر: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل ءاتاه الله القرآن فهو يقوم به ءاناء الليل وءاناء النهار**)[202] فنسيان القرآن كبيرة صرح به الثوري قال صلّى الله عليه وسلّم: (**أحبّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل**)[203] ويكره اتخاذ القرآن معيشة يعيش بها في حديث عمران بن حصين مرفوعا: (**من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسئلون الناس به**)[204] قال صلّى الله عليه وسلّم:

---

[201] (113) آل عمران

[202] الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما

[203] الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

[204] الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه

(**من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات**)[205] وكره أن يقول نسيت ءاية كذا فليقل أُنسيت[206] ومذهب الشافعي عدم وصول ثواب القرآن للميت ومذهب بقية الأئمة الجواز واستدل الشافعي بقوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾[207] **قلت:** مخصوص ببني إسرائيل فرفع ذلك الأمر عن الأمة واشتهر عن المالكية تحريم الاقتباس وشددوا التنكير على فاعله.

قلت: ففيه مقبول ومردود ومباح. فقُبِل في الخطب والعهود والمواعظ وأبيح في الغزل والقصص والرسائل

---

[205] البخاري في التاريخ الكبير

[206] قال صلّى الله عليه وسلّم: **بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا.**

البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد واللفظ له عن ابن مسعود رضي الله عنه

[207] النجم (39)

ومردود على ضربين فما نسبه الله إلى نفسه كقول بعض الأمراء ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[208] والآخر تغميض آية في معنى هزل فنعوذ بالله منه

أرخى إلى عاشقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

وليس من الاقتباس قول الإمام أبي منصور القاهري التميمي لتصريحه بقول الله:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

ثم اعلم ما أبينُه تمامَه وإن غلط فيه وأهمله الناس من وجوب اعتقاد اعتبار العموم في الدليل قبل بحث المجتهد قال في جمع الجوامع وفي وجوب اعتقاد الوجوب

[208] الغاشية 25 و26

قبل البحث خلاف العام **قلت**: وحاصله أنه يجب عند انتفاء الصارف المذكور اعتقاد اعتبار العموم وثبوت الحكم ليتأتى التمسك والعمل به لأن العموم هو المعنى الأصلي الحقيقي للفظ فيجب اعتباره حيث لم يظهر الصارف عنه وعليه فقول الله ﴿**فَاقْرَءُوا**﴾[209] يشمل جميع أنواع الكيفيات المباحات انفرادا واجتماعا فالأصل الاجتماع للتعاون فالأمر موضوع للماهية من حيث هي طلبا من الشارع أن تؤتى ماهية القراءة على كل حالة في أي زمان ومكان وفي كل شخص بالغا وغيره ذكرا أو أنثى طائعا أو غيره سرا أو جهرا من كل ما تقبله الماهية المطلوبة شرعا فهذا يا عباد الله دليل قاطع بجواز القراءة جماعة وهم المتحزبون المتفرقون في معانقة جزء من القرآن لتلاوةٍ مجودةٍ محققة تمامه من غير زيادة على مدٍّ ولا ترك مدٍّ ولا

---

[209] (20) (المزمل)

مدّ ما لا يمد بوقف أجمع عليه العلماء حتى كتبوه ليتفق عليه القراء لمكان التخليط فالقراء إنما اتبعوا المجودين لا باطلين ولا مبدلين ولا مجتهدين فيعترضَ عليهم وإنما ينبَّهون من أهل الأداء المائلين عن الإلحاد والجهل فكل من يعترض عليهم لا تجد عنده إلا الجهل الخالص الخاص به نعوذ بالله من مثله فلا يحمل الطلبة عليه إلا الفرح بالله وبكتابه فإنهم تعلموه من صغرهم فصار لهم حبّ القراءة غريزة فمن ينكر عليهم إنّما أحبّ أن يجرّدهم من حبّ القرآن فلا يتجرّدون البتّة لأنّ الله حفظ دينه بالقرآن وحفظ القرآن بالحفّاظ القائمين به ءاناء الليل وأطراف النهار فكفى من اشتغل بالحرف المعاشية من العدول وأهل المناصب مع الأجانب والتجار والمخزن الشريف أن يحبهم ويطلب دعاءهم فإنهم ظروف نور نور الأنوار تعالى وأحبابُه وأهلُه يغار لهم وعليهم فالأمة محفوظة معصومة

من الاختلال فكل ما زاد في الأمة نفَسٌ زاد الخير بأعظم مما قبله بعشرين مرة وءاخرها أكثر شمراخا فما زاد مولود في الإسلام إلا كتب ثوابه للنبي صلّى الله عليه وسلّم وما كتب للنبي صلّى الله عليه وسلّم كتب لكل فرد من أفراد أمته وهو الأب والأصل والأم والمؤمن فهو الذي سن الإيمان ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾[210] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[211] (الدالّ على الخير كفاعله)[212] فهو الدالّ على الإيمان وأعماله ونتائجه فهو الساعي في أمته كساع الأب في ولده (الولد كسب أبيه)[213] ونحن كسبه صلّى الله عليه وسلّم (سيأتي زمان الواحد منهم بخمسين لأنكم

[210] البقرة (285)

[211] الطور (21)

[212] الترمذي عن أنس رضي الله عنه

[213] أبو داوود عن عائشة رضي الله عنها

تجدون على الدين أعوانا وهم لا يجدون)[214] (أواه على أحبابي أنتم أصحابي وأحبابي الذين يأتون من بعدي يودّون رؤيتي بما يملكون)[215] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[216] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[217] فالمصطفى لا يعذّب.

فليعلم كل موفَّق أن كل ما أحدثته الأمة بقصد العبادة ليس ببدعة بل هو مأمور به مستنبط من العمومات القرآنية والحديثية فلا بدعة في الإسلام البتة والبدعة إنما هي في الكفر والكافرين كتشييد المنارات والإعلام قبل الأذان فإنه مقيس على أذان بلال ودليله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّوَالتَّقْوَىٰ﴾[218] (تهادوا تحابوا)[219] في كل شيء (والله في

[214] أخرجه البزار من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[215] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[216] آل عمران (110)

[217] فاطر (32)

[218] المائدة (2)

[219] أبو داوود في سننه

عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)[220] ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[221] ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[222] ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[223] ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾[224] للعمومات ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[225] في العمومات في الأمر والمأمور به قال في جمع الجوامع ومدلوله كليةٌ وحاصله أن العامّ إذا وقع في التركيب محكوما عليه فإنّ الحكم يتعلّق بكل فرد فرد من أفراد معناه ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[226] فقد أمر لكل قاتل قاتل مجمعين أو مفردين أن يقتلوا كل مشرك إن أمكن لهم على أي كيفية

---

[220] ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

[221] الحجرات (12)

[222] الحجرات (11)

[223] الحجرات (12)

[224] الشعراء (181)

[225] الإسراء (35)

[226] التوبة (5)

إشراكهم وقتلهم في أيّ زمان وأيّ مكان إلى قيام الساعة لتناوله الموجودين وغيرهم فالآمر هو الله. فأمرٌ: اللفظ والمأمور العبدُ والمأمور به المحكوم عليه بالحلال أو ضده في النهي. فالأصل في الأمر الوجوب والندب وغيره مأخوذ من القرائن فكما قُصِد العموم في المأمور به قُصِد في المأمور ماهيةً منهما فمدلولهُ الجملةُ النكرةُ المستغرِقة للأفراد والأصل في الدليل الوجوب والعموم والإحاطة بكل ما يمكن عادةً من الوسع البشري فالحِرف مأذون فيها للمنفعة فالإحاطة بها ولو من الهيئة الاجتماعية متعذرة عادةً فيخلق الله في كل وقت ناسا على تلوُّن زمانهم فيُظهرون من العلوم ما يظهره الله على أيديهم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[227] فالقوة أدمج فيها كل ما يريد أن يظهره على أيدي عباده إلى

---

[227] الأنفال (60)

انقراض الدنيا من الحُجج والعقل والسياسة والمُلاينة والغِلظة والأعتِدة من جميع ما أودعه الله في أجزاء الأرض من المعادن فكنوز الأرض التي تهلك الأمة المشركة هو ما يُبديه الله على أيدي من يُخربون بأيديهم ديارهم ومعَاقِلهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[228] كلّها فإنّ الجمال والجلال منه والخلق منه وهم مظاهرهما فَ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[229] أمرنا ونحن المأمورون الآكلون عموما بالأكل على أي حالة كنا قائمين أو قاعدين أو مضطجعين في حالة الضرورة كالمريض مضطرين للأكل أم لا مجتمعين أو مفترقين والأصل الاجتماع في كل شيء تعاونًا فتقع البركة من التعاون المطلوب شرعا فلا بدعة لا في الأعراس ولا في المواسم ولا في التسمية والختان ولا في الختمات كيوم

---

[228] (109) آل عمران

[229] (31) الأعراف

الجمعة بحيث يأخذ كلٌّ جزءا حتى يتم القرآن طلبا لختمة مستلزمةً استجابة الدعاء فالمحرم المجمع عليه حقيقةً شرعيةً ليس ببدعة يثاب منها واختلاط الرجال والنساء على كيفية غير مرضية معصية محرّمة ليس ببدعةً والاتيان بفعل سنة ليس استنانا بل فعل سنة شرعية فالمستن المستنبط من عمومات الشرع طرائق يعمل بها كالذكر جماعة فهو طريقة شرعية استنها الأقدمون وجرّح بسببها الجاهلون بخطاب الله الذين لم يفهموا العمومات ولا ذاقوا كتاب الله فإنه بحر لا تنقضي عجائبه وإن هذا البحر الذي نشاهده يتموج لا يحاط به فإذا اطّلعت موجة تناسب وقتها اضطربت كما يضطرب القارئ العائم فيه فالقرآن والمتحزبون في أمواجه يظهرون ويغرَقون ويذوبون ويجتمعون فقد اضطرب بهم البحر حال تلاوته ظاهرا فلزمهم الاضطراب لتحققهم بأمواجه

وعجائبه الغير المتناهية فمهما رأى القارئ موجة تكيف لها بها. فالعلوم القرآنية والهيئات لقارئها على وجه الأحوال التي يُعذر معها صاحبها عند العقلاء كالحال لجعفر لما قال له صلّى الله عليه وسلّم: (**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**)[230] وقال الجنيد: أنا الشيخ الزّفّان فتالله يا خالي الحشا لا تعنفنا ومن لم يمت بحبه لم يعش به. فالقراء نزلهم الله منزلة كنوزه وخاصته أحبَّهم فشوَّقهم إليه بكلامه ومناجاته فتالله إن من البهتان من ينكر عليهم، ولو كان منهم لاستصوب ما استصوبه الله. فالغالب أنه لا ينكر عليهم إلا من جهل القرآن وجهل ألفاظه وحرم معانيه وأنواره. جاه الله يا أمة رسول الله في أهل الله وخاصته فأحبوهم وأكرموهم وعظّموهم ونزّلوهم منزلة الآباء والأجداد فإن الآباء سبب وجودكم والقرّاء سبب رحمة الله

---

[230] الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه

عليكم. فحفّاظ كتاب الله يدخلون الجنة متحزبين تلاوة معلومة برواية ورش وذلك كشفنا ووجداننا. رأيت في بعض الوقائع وأنا ابن اربعة عشر سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم يقرأ مع التلامذة متحزبا معهم ورأيته يهز رأسه الشريف مع الطلبة عند الوقف ليوافقهم في كيفية الوقف وفي كيفية التلاوة وأنا بين اليقظان والنائم ثم رأيت الطلبة مناما يقرأون القرآن جماعة برواية ورش بين يدي الله تعالى في الجنة فصاروا من يومه سلالة لأن فعل الله لا ينقضي ولا يعدم ورأيت كأني أعطاني الله الشفاعة فيمن حفظ نصف القرآن فالشفاعة هنا العجالة المواقظة للغافلين المنبهة للجاهلين في حق خاصة الله وأحبابه فمن أراد العلم فلينثر القرآن ومن أراد الخيرة التامة فليتعلم القرآن فيعلمه. فيظل الإنسان يا عباد الله في البِطالة نهاره وليله ويفعل من المنكرات ما يُمرِّرُ البحار

السبع ثم لم يقنع حتى يغتاب في أهل الله أهل الصُّفة أهل الوفاء أهل القرآن الذي نفع الله بهم دينه في الدنيا والآخرة فيا له من إفك ويا له من إثم ويا له من قلة حياء لمن يتعرض لأهل الله وخاصته وإنما يزيّنهم المربي فوقهم لا من دونهم فمن اشتغل بالحرف الدنية على أيدي من أُمِروا بقطعهم وخلافهم فيتملق لهم ولغيرهم للمعاش ولم تقنعه هذه المذلّة والمسبّة حتى تعرّض لأهل الله الرحمن الرحيم. فيا عباد الله أفيقوا وأنيبوا وعظّموا أهل القرآن فإنهم أصل سعادة الدنيا والآخرة حيث جعلهم ربهم صدفا لكلامه. وقد أعطيتُ الشهادة على ما علمت من أحوالهم وأحوال قراءتهم فإن خفي عليّ من قراءتهم شيء فالله غفور رحيم وما حملني عليه إلا أني أحبّ الله وكلامه وحفّاظه وأحبّ من يحبّهم وأحبّ الذاكرين وصوت الذكر والقلوب الخالصين لله تعالى. على أني أوصي الطلبة

والحفظة باتباع المصحف وباتباع نهج القراء ونهج القراءة بحيث لا يتعدّون الحدود المرسومة في هذه العجالة وأن يكتبها من أحبها ويتعلم منها ما فيها فمن تعلمها فاضت عليه الخيرات. وقد علم كل مؤمن أن القرآن العظيم صِفةُ الله المتلقاة بوساطة الحروف والأصوات على وجه يعجز عنه البشر لولا فضل الله. فالقرآن هو المسموع والمبصَر في المصحف لإذهابِ القدمِ بصفة كل حادث وهو الكسب في كل شيء فباعتبار الحقيقة ما وُجد إلا فعل الله وهو قديم لكن أظهره اللطف الرباني في وسع البشر فانظرني بعين يمناك وانظر ظلمة إمكانك بعين يسراك فالإمكان ظلمة والظلمة عدم وأن كلام الرب أعلى كل كلام وأن فضله على سائر الكلام كذات الله مع سائر الذوات وأن الفضائل توقيفية كاللغات وأن الواضع هو الله وأن كل لفظ من كل ما انصدر من الخلائق لا يُتصور في عقل

مؤمن أيا كان أن يجعله في مقابلة القرآن على أن يكون فوقه أو مساويا له أو يكون تحته فإنه متقرر في علم كل مؤمن أنه كلام الله المتعبد بتلاوته وأحكامه من معانيه سواء صلاة الفاتح لما أغلق أو غيرها من كل ذكر أيا كان تلقى من المصحف على يد ملائكة التسخير على يد سيدنا محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى يد نوابه من الأقطاب وأولياء دائرة التصريف على وجه النيابة عنه صلّى الله عليه وسلّم فكل وليّ لله أو نبيّ أو ملَك إنما هم خدّامه صلّى الله عليه وسلّم قبل ظهور نبوته أو بعدها فالنبوة والرسالة مختومة به صلّى الله عليه وسلّم ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[231] فهو أجدر أن يكون خاتم الأولياء فالأولياء معجزاته وأيديه يظهر على أيديهم ما يريد الله أن يثبّت به أفئدة ضعفاء أمته إما في حق الأولياء وفي حق

---

[231] (40) الأحزاب

غيرهم كما يتلقاه بقي بن مخلد[232] وغيره فإنه إنما هو أمر من الرسول وهو الواسطة صلّى الله عليه وسلّم إذ إجماع المسلمين واقع على أنه لا يريد الله أن يظهر شيئا وجودا أو زائدا عن الوجود إلا على يد حبيبه صلّى الله عليه وسلّم ترتيبا لحكمته وتعظيما له وتنويها بقدره حيث جعله أصلا يرجع إليه الأنبياء والملائكة والأولياء فمن دونهم وعليه فكل ما عُبد به الرب تعالى إنما ظهر وبرز من القرآن فالقرآن من أسمائه تعالى فالكون كله إنما هو شرح للاسم **الله** فالعلوم كلها إنما ظهرت من الاسم **الله** لأنه علَم على مرتبة الظهور فكل ما ورد من الفضائل على يد المشايخ إنما يتلقونه من الأسماء فكل ذِكرٍ ذُكر فيه اسم الله الذي

---

[232] أبو عبد الرحمن بَقِيُّ بن مَخْلَد القرطبي (201هـ276هـ) فقيه وإمام ومفسر أندلسي له تفسير للقرآن وكتاب في الحديث رتبه على أسماء الصحابة وكتاب عن فتاوى الصحابة والتابعين

هو ملك ملوك الأسماء ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إذ لا يظهر ملك أحد من أسماء الله حين صار الملك إلى الله من الاسم المحيي إلى الاسم المميت إلى الاسم الباعث إلى الاسم الحاشر إلى الاسم الوارث إلى الاسم الجامع وهو **الله** ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[233] أعني أن الاسم **الله** خاطب نفسه بعده دون الأسماء قبله بعد أن اضمحل الكل رسوما وأطلالا بالاسم الوارث فيه أي لمن وصلته نوبة الآن إلى ما لا نهاية له فلم يبق من يدعيه فقال الله الواحد يعني لا يتصرف اسمٌ بعده القهار الذي ستر الأسماء كلها بصولة نوره لأن الأسماء فيه مندرجة فلا يحل لأحد أن يأتي بفضيلة وثواب إلا إن استنبطه من أسمائه تعالى على سبيل الكشف والتلاقي واللقاء من الأسماء أو يتلقاه من الوسائط من الأنبياء يقظة أو مناما فهما حقا لأن الأسماء راجعة إلى الله

---

[233] غافر (16)

وهو أصل كل اسم فصلاة الفاتح لما أغلق متلقاة من أعوان النبي صلّى الله عليه وسلّم وأحبَّ أن يصلي بها على هذا الترتيب من سبق في علم الله أنه من أهلها لا غير. كما أن الحِرف وإن أذن في أصلها لا تظهر حرفة إلا على يد من علمه الله أنه يظهرها على يديه كالصنائع الموجودات على وجه الدنيا الآن لم يظهرها الله على يد الأنبياء وإن أذن فيها كالسفينة لنوح وانبساط [الريح] لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[234] ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[235] ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[236] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾[237] يعني ليعدّ كل فرد من أفراد المكلّفين لمقابلة العدوّ الذي خلقه الله للاختبار هل

234 سبأ (10)

235 سبأ (12)

236 سبأ (11)

237 الأنفال (60)

ينفق البعض أعزَّ ما لديه من الأرواح والأموال فلا يضره ما ضاع له من الأولاد والأموال والأحباب في جانب دينه ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[238] فقد أذن الله في أصل الحرَف وأدلى حبل الاجتهاد فيها إلى قيام الساعة وما تكلفه بعض من أراد أن يحضّ الناس على معانقة الحرف الحربية وغيرها كلّه في هذه الآية من غير تسعيف الأمة أو تحيلها فالواجب التحريك والتحريض على الحرف الإسلامية بكيفية حلالية لكن لا تظهر على يد كل أحد وإنما تظهر على يد من خُلق فيه الاستعداد فيجب التعلم على وجه شرعي على يد مؤمن موفّق وإلا أضله الغاوون فإن التلميذ يتطبع بغرائز شيخه. النفس

[238] التوبة (24)

تميل إلى من أحسن إليها فتعلّم اللغات مطلوب وتعلّم الحرف جائز قال سلمان الفارسي بالخندق لأن فارسيا يعملونه وقس عليه فلا نطيل ويكفي أولي الألباب ومئٌ بحاجب. فطرق المشايخ الصحيحة المبنى من مأمورات القرآن لا غير فكل ما خرج عن القرآن فهو باطل فأصل الطرق إلى الله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[239] إلخ وهو أوّل ما أمر الله به بعد أن عرَّفَنا بأن الأشياء كلها بالاسم الله الرحمن الموجد الرحيم المنعم بالإيمان ونتائجه من النبوة فما دونها من كل فضيلة فالله هو السبب فقط أمرنا بالأسباب وأمر المسبّبات بتعظيم أسبابها ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[240] من علمك فهو أبوك أصل خيرك فالطرق كلها صالحة مستقيمة ولكل طائفة

---

[239] الفاتحة

[240] (23) الإسراء

خواصها وعوامها وخواص خواصها فليست ببدعة بل طرق قرآنية من الصراط المستقيم وكلها طريق التوحيد مستنبطة من العمومات القرآنية ومن المأمورات فالأذكار ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[241] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾[242] ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾[243] ﴿وَاسْجُدْ وَ اقْتَرِب ۩﴾[244] ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[245] فالزاهدون لهم درجة في القرآن والعابدون والسائحون كذلك إلى آخر أصول الصوفية وأهل الطرق فلا تجد مؤمنا خرج عن القرآن البتة فالمسلمون في بحر العمومات غرِقوا فلا مخالفة بين علم الظاهر والباطن ولا بين الفقهاء والأولياء فالفقهاء كموسى ينكرون ما لا

---

[241] البقرة (152)

[242] البقرة (199)

[243] الأحزاب (56)

[244] العلق (19)

[245] البقرة(43)

يعلمون ليعطوا حتى يعلموا وأهل التصريف كالخضر فأهل الحكم بالظاهر كداوود وأهل الحكمة كسليمان ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[246] فدليل المتصرفين ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[247] ومن الجن العفاريت ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[248] فأصل المتعلمين والمنقطعين إلى الله والمتأدبين أهل الصُفّة وأصل من ترك أرضه وماله وولده لبقاء دينه وإعلاء دين الله المهاجرون وأصل المضيفين المعلنين أهل الله المعاونين البائعين نفوسهم وأموالهم وأولادهم وأحبابهم الأنصارُ فهم آباء المهاجرين حيث قبلوهم وأفنوا مرضاتهم في مرضاتهم وأصل

[246] (79) الأنبياء

[247] (40) النمل

[248] (39) النمل

العساكر المهاجرون فأصل المعاونين الأنصار وهم الوزراء أبد للدين فهم حفّاظ القرآن في زمن النبوة وهم الذائدون بسيوفهم وطعامهم وأموالهم عن دين الله وأهله فمن الصحابة تفرّقت الطوائف الإسلامية إلى قيام الساعة فمن أقوالهم تقتبس العلوم لا غيرها فالمقتدي بهم فيما علموا واستنبطوا اهتدى هداية أبدية (**بأيهم اقتديتم اهتديتم**)[249] فهم الخلفاء والعلماء خلفاؤهم إلى قيام الساعة فلا خلاف في الإسلام البتة فإن الآمر واحد وهو الله والرسول واحد والقرآن واحد متشابه متناسب لا تفاوت فيه ولا خلاف وإلا لزم عدم وروده عن محل واحد. فالعلم من حيث هو نقطة واحدة وإنما تنوعه الاعتبارات فحُسن الله واحدٌ وإنما يتنوع على حسب المراتب الأسمائية الإلهية فالموت واحد والأسباب كثيرة متنوعة

[249] الخطيب والبيهقي والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا

ونور الشمس واحد وإنما تنوع في المظاهر والألوان في أنواع القوارير فالشرع واحد في حق مَن قبلنا وفي حقنا فالمطرقة واحدة وهي الدّلالة على الله فالأنبياء أولاد العلات أبوهم واحد الدلالة على الله فطرائق الإسلام طريقة واحدة لمُسمى واحد وهو الحق فتفرق الشيع إنما هو في الكفر والمكروه والمكره لنا في العصيان والفسوق فهذه الثلاثة طرق إبليس فإبليس كلب الله يحرّشه ليوسوس على من فخاره ضعيف وإيمانه ضعيف فهو أول من هلك بشبكة وفي شبكة الأغراض التي هي الهوى المذموم فكلّ من عبَدَ لغرض فإبليس إمامه فيه وشيخه فمن أخلص دينه بالانقياد للدين الخالص لله وهو أن يعبد الله لما عليه من الكبرياء والعظمة والاستحقاق أن يُعبد فهو طريق الرسل المثبتون بالقول الثابت لا إله إلا الله فالأسباب لا تستحق العبادة فإنها مفعولة وإنما تعظّم لوجه ربها فطرق أهل

القرآن طرق الأحبة والدلال فأهل القرآن أهل التحنّث على ربهم فإنهم أصداف كتابه وحجاب أنواره وحملة أمانته فلا يُتعرض لخاصة الوالي والمجتهدون لا يخطئون البتة فإن اجتهاد مَن بعد الصحابة اجتهاد شرعي بحيث يعصّرون الأدلة كالقياس حتى يكشفوا عن الدليل الشرعي فالاجتهاد كاشف عن الدليل الشرعي فلا يتصور وجود الدليل إلا في القرآن المفسَّر بالحديث النبوي فالحديث تُرجمان القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾[250] فالعقل حقيقته نور روحاني تُقدمه النفس أي الذات إلى خطاب الله إن وجد فتدرِك مراد خطاب الله في الدليل الشرعي فلا علم ولا سرّ ولا حكمة إلا ما انطوى من القرآن الكريم الذي يكرم كلَّ من عانقه بفوائد والكشف إزالة الألباس عن الدليل كما يزيل القياس الألباس عليه ولا يوجد علم

[250] النحل (64)

خارج عن القرآن فالطاعة سبب كسبي للعلم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[251] مبني على التقوى فلا ينبغي لطُوَيلب أن يشوّش بقلقلته المجرّدة عن العمل والذوق فطريق الصوفية طريقة الأعمال وطريقة الفقهاء طريقة الأحكام فالكل على خير فكل طائفة كُلِّفت بركن من أركان المسلمين فلا يكلَّف كلٌّ بالتجارة والحدادة إلى آخر الحِرف الشرعية بأن يقوم بها كل طائفة على حسب الوسع له ولأهل زمانه فالحكم للموطن والذي أظهره في القرن الرابع عشر من الأنواع المتنوعة إلى أبحر خَفيت عن المتقدمين في كنوز الأرض من الگاز والفخار والكربون والأعتدة والطيارة في الهواء من سفُن الماء والهواء والغطّاسات لم يكن في وسع من تقدم لأن الله لم يُرِد أن يُظهر الكنوز إلا على يد من علمه أزلا وأبدا فالحقائق لا تتبدل أبد الآبدين فالعقول واحدة

---

[251] البقرة (282)

والاستعدادات متنوعة وقِس العلومَ فالاجتهاد مُستمر في كل مأذون من أصله فالفتحُ في زمان النبوة عُلم موضعه وقِس عليه الشامَ والعراق ومِصر وإفريقية إلى آخر كل موضع فيه الإسلام فلو اجتمع الخلائق كلهم على أن يحيطوا بحقيقة النملة ما قدروا ولا أرادوا ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[252] فالعلوم لا نهاية لها فلو أُدرِجت المدونات في حرف ق من اللوح المحفوظ لصارت كرِجل برغوث في وسط الكون. ونحن لله الحمد نعاين ذلك كلَّه بالله فإن عاينّا اللهَ شاهدنا مفعوله من حيث هو وإن نظرنا إلى مفعوله شاهدنا فيه فاعلَه. وعلى كل حال لا تسقط أعيننا عن المحبوب الرب تعالى مع مشاهدة الحق باليمنى والخلق باليسرى دفعة واحدة فالمطلوب النظر بهما في كل نفس فالرُّخَص تؤتى والعزائم تؤتى فالمحبوب الجمع

---

[252] الإسراء (85)

بينهما في محل كالمتديِّن بالرخص ضلَّ والمتديِّن بالعزائم فقط ضلَّ (**إن الله تصدّق عليكم بصدقة فاقبلوا صدقة الله**)[253] فالأمة شهد لها الله بالخيرة وهو فَوْقَها وقائدها فهو أدرى بها ونحن لا ندري أنفسنا فضلا أن ندري غيرنا وقد وضع الله الأشياء بالقسطاس المستقيم وحدّ لكلٍّ عينه وقلبه بالميزان الشرعي الحقّي فلا تغلطْ فلا يحلّ لأحد أن يقول فلان أفضل من نبيّ فلا يتصور فأفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ثم الرسل أولوا العزم ثم بقية الرسل ثم بقية الأنبياء ثم خواص البشر ثم خواص الملائكة ثم عوامّ البشر ثم عوامّ الملائكة وأفضل الأمة أبو بكر ثم الخلفاء على الترتيب فأولاده صلّى الله عليه وسلّم لا ينبغي أن يقال هل هم أفضل من أبي بكر أم أبو بكر. فهذا مما يقَفقِف

[253] مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الشعر ويتضرس فيه الضرس وهو كلال لا معنى له. كما أن هذا الذكر أيا كان هل القرآن أفضل منه أم لا. فمن قال ذلك كمن قال هل الرب أفضل من عبده وهو لغو باطل مما تشمئز له النفوس فنعوذ بالله من مثله لكن ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[254] هو قرآن فالاسم **اللَّهُ** كذلك كالأسماء المنزلة فكلّها قرآن فإذا كان اسم الله في ذكر مخصوص أشرق ذلك الاسم في ذلك الحزب وأذهب ضعف الحدوث فالحدوث إذا ذكر مع القرآن ومنه **الله** ذهب واضمحل وبقي نور الاسم **الله** وما انطوى منه فلو كتبت الدواوين من أول الإسلام في فضل ﴿**اللَّهُ**﴾ أو ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ ما ذَكروا منه قدرَ ذرته مثلا. فعليك بالأدب مع مقالات الشيوخ فإنهم مأذونون في الكلام فالعالم القرشي يعدل عشرة يعني إذا تساويا قراءة ورواية ودراية وحفظا فإن

[254] (19) محمّد

عقل القرشي أكبر العقول. فالعلم بلا عقل لا يفيد. قال بعض العقلاء لبعض أهل الخط الرملي السحري وقد وضع خاتما في كفه: ما جعلتُ في كفي فاستخْرِجْه لي بطريقك فقال بعد أن أتقن الكيفيات هذا مُدَوَّر كالمطمورة فقال علمك وعملك صحيح لكنه يحتاج إلى عقل يعينه فهل يصور عقلك أن تكون المطمورة في الكف؟ فهلاّ قلتَ كالخاتم ففتحه فوجده. فالعقل نورٌ فالقرشية تعدل عشرة عقلا وأدبا ودينا وتوددا واهتماما بأمر الزوج فعليك بها ومنه تعرف قدر الشافعي بين الأئمة رضي الله عنهم وتعرف حق النسيبين من غيره (**إياكم وشجرة الدمن**)[255] (**خوّلوا أولادكم**) فخيمة القرآن كبيرة عند الله

---

[255] الدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ ((إياكم وخضراء الدمن فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء)).

إلى قيام الساعة ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[256] وهو العاشر ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[257] فالذي حفظ موسى عليه السلام لما وضعته أمه في صندوق ورمته في البحر هو الذي حفظ أهل السفينة. فعليك بالاستنباط في كتاب الله فإنك أُذِنت فلا يُحجّرك التقليد فإن الله خلاّق على الدوام رزّاق على الدوام فإذا تجلّى باسم لا يتجلى به أبد الآبدين لاتّساعه فالعلوم من الأسماء التشتيتية فكل اسم بنوره مخالف لسائر الأنوار فالأسماء كثيرة لا نهاية لها لمُسمّى واحد فلا خلاف من حيث الأسماء وإنما الحُسن اقتضى البروق والتلونات. فاعلمْه. فكن من حفّاظ كتاب الله ومن مُكرميهم ومُحِبّيهم فإنهم السادات فمن كُلف بالتربية

---

[256] الكهف (82)

[257] الكهف (80)

فليرفُق ولْيَلِن بخَفض الجناح. فالذين يقرأون كتاب الله بالجماعات ويُعلّمونه ويَقرأون حزبين في كلّ يوم هم المُستسقى بوجوههم. وافْنِ عُمرك في خدمتهم ومحبّتهم وإكرامهم فمن أطعم حافظ كتاب الله فقد أطعم آدم بنفسه ومن أطعم حافظ القرآن شفَّعه الله فيه. فإن كل واحد يشفع في ألف من آل بيته ثم المحبين ثم المطعمين. فالجماعة إذا استحضروا حافظا لكتاب الله يُسَمَّون عند الله جماعة صالحة ظواهرُهم حيث استحضروا صدف النبوة وجعلوه سيدهم وإمامهم. فبالله أمعِن النظر بتأمل فأصل مؤونة المستحضِرين قصعة أبي أيوب الأنصاري ألا ترضى يا موسى أن أعتق بكل لقمة واحدا من أمتك وهذا آخر التنبيه وفيه كفاية لمن تأمّل وغضّ الطرف عن عيوب كاتبه فإن بشرٌ ممن خُلق من ضعف ونسيان وعجز وعدم العزم والتوبة والاجتباء وصلى الله وسلم على سيدنا محمّد

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين. سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين كتبه مؤلفه في أربعة أيام تنبيها للسائلين آخر يوم الثلاثاء بعد العصر أوائل جمادى الأولى عام 1362 هـ اثنين وستين وثلاثمائة وألف غفر الله له وأصلحه وأصلح به آمين.

فاعلموا أيها القراء بالترتيل والإخلاص والآداب والتجويد على أيدِ المجودين الكرام البررة الخاشعين لله المتعاونين على حمل أعباء صولة القرآن، الحافظين له من الخلل والوهن، الذين شاهدناهم واستمعنا منهم في حال تلاوتهم واستقرأْنا أحوالهم من صغرنا إلى مدة اثنين وستين سنة من عمرنا أنكم على الحق في الحق وبالحق للحق، فإنكم قائمون بوظائف الرسالة، عائمون في بحار حقائق الدين فصرتم أحباب الله وخاصته فأنتم الشجى في حلق إبليس وذويه، فأنتم الفرقة الصافية لله حيث صيّركم مصاحف كتابه وميادين حقائق رضاه، فلم يبق مثلكم على وجه الدنيا قاطبة، تفيقون على الاهتمام بدين الله وتنامون عنه، ليس لكم نَفَس ضائع، فأنتم الظروف لكلام الله الحاملون له، فلكم الشرف التام، ولكم الهناء الأكمل، كل فرد من الأفراد وما اهتم به من التجارات و أنواع الكسب والملاهي غيركم، اصطفاكم ربكم لمناجاته، فهنيئا لكم ثم هنيئا ...

الحاج الأحسن البعقيلي

من كتاب إتحاف القراء المتحزبين